بنو الأصفر



الكتـــاب: بنو الأصفر

المـــؤلـــف: محمد رجب

تنسيق داخلي: عمر جوبا

الطبعة الأولى: يناير 2020

رقم الإيـــداع: 2020/2053

I .S .B .N: 978-977-992-09-79

المدير العام: محمد شوقي

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

رواية

بنو الأصفر

العميل الأول: يونس عبد الوهاب

محمد رجب




عصير
الكتب
للنشر و التوزيع

«الضمير هو صوت الله الموجود في كل إنسان»

فيكتور هوجو

-١-

هل هي النهاية؟

كعادة صحراء الليل، يحكمها الظلام والهدوء. وقد تعاونت الصخور معهما لفرض المزيد من الهيبة والخوف فشكلت أشباحًا ثابتة ومستعدة للهجوم في أي لحظة. مرت دقائق، والصحراء على حالها، والصخور متأهبة، والبدر شاهد، ثم ثارت الرياح مُصدرة صفيرًا عاليًا ثم هدأت فجأة كما ثارت. كشفت الرياح عن نصف جثة مستلقية على ظهرها، وقد تبين على أثر الضوء الشحيح المتوفّر أنها جثة شاب.

ساد السكون مرة أخرى، والشاب لا يزال راقدًا. بعد لحظات، فتح الشاب عينيه بصعوبة، فرأى النجوم. وكأنه يتأكد، أطبق جفنيه ثم فتحهما مرة أخرى ليتأكد أنها النُّجوم فعلًا. كانت نجومًا ساطعة قريبة، كأنه يراها من منظور اختلف عما تعود عليه. وكحركة لا إرادية لشخص استفاق لتوه، رفع الشاب رأسه في محاولة منه للنهوض، ليشعر بانسياب شيء ناعمٍ من

أذنيه وبين خصلات شعره، شيء كثيف وثقيل وينساب كالماء، لكنه ليس سائلًا.

- رمال.. إنني في صحراء.

كانت أولى كلمات الشاب، وقد ظهر صوته عالي النبرة ومندفعًا كأنه يفكر. وكأي شخص وجد نفسه في الصحراء، وجب عليه أن يسأل نفسه «كيف أصبحت هنا؟»، لكن أثناء اعتداله وإسناد ظهره إلى صخرة، كان عقله قد عالج ذلك السؤال وعرض الإجابة على هيئة صور سريعة متلاحقة: (مكتب مثلث.. صورة لأوراقٍ مُبعثرة.. صورة لنفسه نائمًا على المقعد خلف المكتب.. صورة لانعكاسه في مرآة الحمام.. طرقات قوية على الباب.. ثلاثة أشخاص يكفي واحد منهم للقضاء عليه بلكمة). انقطعت الصور فجأة كأن ذاكرته شريط وقد تم تفريغه بعد هذه النقطة.

- لقد أوشكنا على النهاية، كدنا ننجح.

قالها بصوت خفيض يتأرجح بين الغيظ والندم. نظر حوله في كل مكان لعله يجد أي علامة تدل على الحياة، لكنه لم ير أبعد من خطوات قليلة. حاول الوقوف على مراحل، ليكتشف مناطق لا زالت تؤلمه في جسده مع كل حركة يحاولها، حتى استطاع الوقوف في النهاية. تحسس الشاب وجهه بظهر كفه، وقال بنبرة سريعة كأنه يشرح لنفسه:

- لم تنبت بعد، أي أنه لم يمر وقت طويل، بضع ساعات على الأكثر، أشعر أنني لا زلت في أول الليل. إذا استغرقوا ساعتين ليخرجوا إلى الطريق الصحراوي، وساعة وأنا على حالتي هنا بناء على حجم الرمال المدفون فيها، إذن فقد سِاروا بي في الصحراء حوالي ساعتين مثلًا. ساعتين بالسيارة في الصحراء، لا بد أنها تفوق المائة وعشرين كيلومترًا. أي أنني -إذا اهتديت لاتجاه الطريق- يمكنني الوصول إليه في يومين إذا استطعت النجاة فيهم.

وكأنه تذكرّ فجأة، أخذ يُفتش في جيوبه ليجد علبة سجائر وأعواد ثقاب، وهاتفه المحمول. فتح هاتفه، فأعمته الإضاءة لحظيًا بعد أن تعود على ظلام الصحراء. لحسن الحظ، وجد الهاتف مشحونًا لأكثر من الربع، ولسوء الحظ لم يجد إشارة تسمح له بالاتصال أو تحديد موقعه. فتح تطبيقًا يحفظ مكانه، كتب بسرعة على الشاشة: «**ساعتين داخل الصحراء، سأتحرك شمالًا**» **وضغط** «**إرسال**».

«**لم يتم الإرسال، حاول مجددًا!**»

حاول مرة أخرى، ولكن ظهرت الرسالة نفسها. ضغط على أيقونة «؟» في أعلى الشاشة ليظهر كلامًا مُطولًا، اكتفى بأن قرأ أول سطرين:

«الإشارة أضعف من الحد الأدنى، يُرجى توصيل هوائي أو أي جهاز ليعمل كهوائي كسماعة الأذن..»

- تطبيق للمُختطَفين والتائهين، ويطلب أن يكون معهم سماعة أذن. عظيم!

قالها بهدوء، ليستطرد بعصبية أكبر:

- لقد اختفت السماعات التي تتصل بالأجهزة.

دار بنظره إلى السماء، بحث كثيرًا بين النجوم التي بدت غريبة، بسبب وضوحها وقربها لانعدام التلوث الضوئي تقريبًا:

- عظيم! سأسير يومين، لأن متخلفًا ما مقتنع أنني لا بد أن أحافظ على سماعة أذن عند اختطافي.

قالها وهو يدور حوله باحثًا بين النجوم، أشار إلى بعضها متحدثًا لنفسه بصوت منخفض:

- من الجيد أن مصر تقع في النصف الشمالي من الأرض. ها هي كوكبة الدب الأكبر.. ظَهْرُ الدب.. خمسة أضعاف المسافة بين النجمين.. ها هو النجم القطبي.. مرحبًا بولاريس!

استمرت مسيرة الشاب لساعات، والنجوم يختلف مكانها حول النجم القطبي الثابت تقريبًا. لم يسكت الشاب تقريبًا طوال مسيرته. كان يتحدث إلى نفسه بأي ما يزور عقله؛ سواء كانت أغنية قديمة، أو نشيد طفولي، أو شعر قديم، أو مقتطفات من روايات.

- من الغريب أن يترك لي الهاتف وعلبة السجائر. من الغريب أن يتركني حيًا من الأساس.

تنهد ليقول:

- لقد كانت الحياة سَلسة حتى تلك اللحظة التي وافقنا فيها على تلك القضية.

ثم وجد نفسه بحكم العادة يقول:

- قد ينقضي عمر شخص كله دون أن ينحرف أساس حياته قيد أنملة؛ وقد تأتي خمس ثوانٍ فقط، فتستطيع أن تغير هذا الأساس أو أن تقلبه رأسًا على عقب.

ثم رد بسرعة بحكم تلك اللعبة التي لا يعلم متى بدأت بينه وبين نزيله المُعتاد:

- عودة الروح لـ توفيق الحكيم.

مرت الساعات التالية ثقيلة على صاحبنا وهو يسير وحده. بدأ التعب يغزو عضلاته، والأمل ينقص مع كل خطوة ناحية النَّجم. وبعد مدة، بدا عسيرًا تحديد موضع النجم. وبعد مدة أقصر توارى القمر واختفت النجوم إلا الشمس التي أضفت عذابًا جديدًا عليه. ولم تنقضِ أكثر من ساعتين منذ أن ظهرت الشمس من المشرق، وبدأت حرارتها تصله بالفعل. نظر إليها، فوجدها تتوعده بيوم شديد الحرّ، وكأن هذا ما ينقصه.

- ليتني لم أحذف تطبيق البوصلة من الهاتف.

قالها، ثم جلس على الرمال ناظرًا حوله في جميع الاتجاهات. أخرج علبة سجائره، وأشعل واحدة:

- إلى أين تريد الذهاب الآن؟ لا أظنك ستصمد يومين كاملين.

ملأ صدره بالدخان، وتحدث إلى سيجارته ليخرج الدخان مع كلماته:

- لقد صبرت طويلًا حتى أشعلك. إذا أشعلتك ليلًا، لرأتني جميع الحيوانات من أميال. آه.. الحيوانات.. متى ستظهر لتزيد الطين بِلة؟

نظر إلى الشمس طويلًا، وقد وضع يده أمام عينيه لتحجب أشعتها:

- حسنًا، لقد أشرقتِ من هذا الاتجاه، أي أن الشمال سيكون من هنا.

قالها وهو يشير ناحية الفراغ إلى يساره. أخرج هاتفه من جيبه، وحاول إرسال الرسالة مرة أخرى، ليكتشف أنه لم يصل إلى مدى الإشارة بعد.

- أتمنى ألا أكون قد اخترت الاتجاه الخاطئ من البداية.

قالها وملأ صدره مرة أخرى بالدخان، ونهض وهو ينظر إلى الشمس ليحدد اتجاه سيره:

- لا أصدق أن معلومات الكشافة هذه قد تنقذ حياتي.

ابتسم مستحسنًا الدعابة، وألقى سيجارته في الرمال، ونظر إلى الفراغ أمامه، وتنهد قبل أن يستأنف المسيرة.



- ٢ -

إنها النهاية..

قضى صاحبنا ليلته الثانية في الصحراء، وقد نام هذه المرة بعد أن أتعبه السير لمدة يوم كامل، واستنفذته الشمس التي حققت وعيدها واستمرت شدتها لوقتٍ طويل. استيقظ مع شروق الشمس وقد جفّ ريقه، وتيبست عضلاته. نظر إلى الشمس، وحدد اتجاهًا تقريبيًا للشمال، وتحامل على نفسه واستأنف المسير. وبمرور الوقت؛ أصبحت خطواته أبطأ، وعلا صوت أنفاسه، وقلّ الأمل أكثر وأكثر. وتحت شمس الظهيرة، استسلم إلى التعب. جلس الشاب على الرمال ليريح قدميه، وأخرج هاتفه مرة أخرى، وحاول إرسال الرسالة إلى صديقه. انتظر مترقبًا السهم الصغير وهو يواصل الصعود. استغرق إرسال الرسالة وقتًا أطول من كل مرة، حتى فُوجئ:

«تم إرسال الرسالة»

نظر طويلًا إلى الهاتف غير مصدق بأنه قد تم إنقاذه أخيرًا. نهض بسرعة، وجرى في دوائر وهو يحرك ذراعيه كأنه قد أحرز هدف التأهل لتوِّه. وقف، وهو يلهث وقد تذكّر عطشه:

- لن يحتاج أكثر من دقائق ليحدد أي صحراء.

نظر إلى الهاتف مرة أخرى. وبأصابع مرتعشة كتب الرقم الذي يحفظه جيدًا ليسمع صوت المتحدث من الجهة الأخرى بعد لحظات من الصمت:

- مرحبًا!

بدا صوت المتحدث هادئًا ومرحًا متعارضًا بشكل صارخ مع الموقف، فرد صاحبنا بلهجة سريعة:

- أنا في صحراء منذ الأمس، وأتجه شمالًا. لن أصمد أكثر من ذلك، تعالَ بأسرع ما يمكن. هل وصلك الموقع؟

سكت المتحدث قليلًا كأنه يزن الكلام، ثم رد بهدوء:

- لكل شيء ثمن، وكلما عزّ المراد ارتفع ثمنه.

- ماذا؟ ماذا بك يا طارق؟ أخبرك أنني على وشك الموت هنا، والإشارة قد تنقطع في أي لحظة لترد بهذه الحكمة. لا وقت للمزاح!

اختتم جملته صارخًا، بينما سكت المتحدث على الجهة الأخرى لحظات حتى تكلم ببطء وقد ذهب من صوته المرح وتبقى الهدوء فقط:

- لكلِّ شيءٍ في هذه الدنيا علامة قد لا يفهمها الإنسان أبدًا، وقد يفهمها بعد حين.

صرخ صاحبنا بعدة كلمات متقطعة، وقد انتابته حالة من الجنون فأخذ يركل الرمال، ويضرب الهواء، حتى انتفض ليجد نفسه جالسًا كما كان.

نظر الشاب حوله غير مدرك أين هو، حتى فهم ما حدث. أخرج هاتفه بسرعة، وبحث فيه:

- لم يتم إرسال الرسالة، ولا توجد مكالمات صادرة. هل كنت نائمًا؟

ثم نظر إلى الشمس المتعامدة على رأسه، وسألها بوهن:

- هل بدأت في الهلوسة؟



استعاد الشاب سيطرته على نفسه بعدما أشعل سيجارة أخرى ـ والتي أصبح مذاقها مرًا وأصابته بسعالٍ بسبب حلقه الجاف ـ

واستأنف مسيرته، وهو يتحسر على عقله الذي بدأ في الذوبان تحت تلك الشمس.

- لطالما أخبرني طارق بأن هذه السجائر ستقتلني. لا أستطيع الموت هنا. يجب أن يعرف من المسؤول عن كل ما حدث. يجب أن يخرج مما هو فيه. يجب أن يخرجا مما هما فيه.

وفي غمرة حديثه، وأثناء مسيرته البطيئة، رفع قدمًا ليخطو خطوة أخرى ونزل بها في الرمال ليجدها ناعمة، أنعم من أن تتحمله. أدرك في جزء من الثانية الموقف، لكن لم يستطع تعديل جسده ليتفادى السقطة، فهوى برأسه على الرمال وأغمض عينيه وقد لاح في ذهنه صوت صاحبه يتردد:

- **«وكأنَّ همًّا واحدًا لا يكفي، أو كأنَّ الهمومَ تستأنسُ بعضها ببعض.»**

أفاق صاحبنا بعد غروب الشمس، وقد وجد خليطًا من الألم لم يستوعبه في البداية. فهم بعدها أن الخليط بدأ بجروح في ركبته وقدمه اليسرى، ودم متجلط على جبهته، بالإضافة بالطبع إلى جفاف حلقه. تحسس ـ على الضوء المنبعث من القمر ـ موقع سقوطه، ليجد صخرتين كبيرتين قد غاصتا في الرمال هما على

الأرجح سبب جروحه ووجد هاتفه. حمد الله أن هاتفه لا زال سليمًا. حاول إرسال الرسالة مرة أخرى، لكن مجددًا لا توجد إشارة. حاول النهوض متحاملًا على آلامه، مستفيدًا من غياب الشمس، لكن بمجرد محاولته الوقوف، سمع طقة خفيفة في قدمه، تبعها ألم حاد.. لقد انكسرت قدمه.

- لا أمل.

قالها الشاب بعد ساعات، وقد حصر اختياراته فوجدها ببساطة إما أن يرسل الرسالة أو يموت، وبما إنه لا يستطيع إرسال الرسالة فالموت أصبح أكيدًا، أو كما قال: «لا أمل.»

نظر الشاب مرة أخرى إلى الهاتف ليجده أقل من ٣ بالمائة.

- عظيم! سأموت الآن لأن ذلك الذكي اشترط عليّ أن أحمل سماعة أذن إذا أردت أن أحيا.

أمسك بالسيجارة الأخيرة في علبته، وقد تردد في إشعالها ليلًا حتى لا يكشف مكانه لحيوانات الصحراء.

- كأنَّ رائحة الدم لا تكفي.

قالها ساخرًا، وأشعل سيجارته بلا اهتمام. ملأ صدره بالدخان، وضغط علبة السجائر في يده ليخرج صوتها المميز، ثم ألقاها أمامه. كانت علبة أجنبية ذات لون أبيض وشرائط حمراء، استطاع أن يراها على الضوء الخافت.. وللحظات ظل محدقًا

بها. وكأنه استوعب شيئًا مهمًا، ارتسمت على ملامحه الجدية، وأخذ يحرك قدمه السليمة حتى استطاع تقريبها، وأمسكها أخيرًا. فتح علبة السجائر وأخرج طبقة التغليف الداخلية، ثم ألقى علبة السجائر بعيدًا ليسمع الهواء يتلاعب بها في الفراغ، نظر إلى طبقة التغليف مليًا بعد أن فردها بعناية:

- لا أعلم المادة المُستخدمة في صنعك، لكنني جربتك أكثر من مرة كلما حاولت الاستماع إلى الإذاعة على الهاتف ولم تخذلني ولو لمرة.

وضع الورقة المعدنية على فخذه، وشقها إلى نصفين طوليين، وبدأ في برم أحد النصفين حتى أصبح أسطوانة رفيعة. حاول إرسال الرسالة مرة أخرى، لتظهر مشكلة انعدام الشبكة وطلب توصيل سماعة أذن لأنها تعمل كهوائي، فقام بوضع طرف الأسطوانة في فتحة السماعة، ليظهر على الفور:

«تم توصيل سماعة الأذن»

ضغط صاحبنا على «إعادة إرسال الرسالة»، فظهر على الشاشة: «جاري الإرسال»، وابتسم صاحبنا أخيرًا، لتختفي ابتسامته فجأة مع اختفاء ضوء الهاتف:

«البطارية فارغة!»



-٣-

البداية..

منذ ثلاثة أشهر...

توسطت مذيعة بدت شابة رغم تخطيها الأربعين الشاشة، وتحدثت بلهجة إعلامية وهي تميل للأمام كل فترة بطريقة بدت مفتعلة، وقد توقفت طويلًا بين الجمل مضيفة جوًا من الغموض الساذج على ما تقول:

- اعتدنا في هذا برنامجنا أن نُسلط الضوء على أصحاب القدرات الاستثنائية. اليوم لديَّ منهم شابان مصريان.. وُلِدا في مصر.. تعلما في مصر.. وعاشا في مصر.. وقد أثبتا أنهما مميزان في ثلاث دول كُبرى على مستوى العالم.. فازا بالجوائز والشهادات من أرقى الـ..

اختفت الصورة وانقطع الصوت فجأة، ليحل محله صوت رخيم قادم من خلفهما:

- اعذراني، لن يمكنني أن أسمعها أكثر من ذلك.

قالها رجل أربعيني بجسد ممشوق، ورأس أصلع، وابتسامة ذكية ـ أو حاول أن يجعلها ذكية ـ وقد جلس خلف مكتبه في مواجهة التلفاز وهو ممسك بجهاز التحكم، وأسند ظهره إلى الكرسي في إشارة واضحة بأنه المُسيطر على هذا الاجتماع المُصغر مع الشابين الجالسين أمامه. ورغم نظرته النافذة، وجلسته المُسيطرة، بل ورغم اللافتة الخشبية المكتوب عليها «المقدم/ علاء الديب» الموجودة أمامه؛ لم يبد أي اضطراب على الشابين الجالسين. استطرد علاء في محاولة جديدة لفرض الهيبة، لكن بصورة أكثر ودية:

- أريد أن أسمع منكما أفضل، لقد شاهدت الحلقة ولم أفهم شيئًا. هي تثرثر أكثر من اللازم ولا تترك مساحة لضيوفها. أنت يا صاحب العوينات ما اسمك؟

قالها مُشيرًا لشاب يتأرجح بين نهاية عقده الثاني وبداية الثالث بملامح أوروبية تجلت في العينين الرماديتين، والبشرة البيضاء، والابتسامة الهادئة. عدّل الشاب من عويناته الطبية المستديرة، ثم نظر لصديقه الجالس أمامه بتردد وكأنه يستمد منه الشجاعة، ليومئ الأخير فيرد الشاب:

- اسمي طارق عبد الرحمن.

قالها بصوت هادئ لا يتناسب مع نظرته القلقة، ليرد علاء على الفور:

- هل أنت من المنصورة؟

- لا أنا من القاهرة.

رد طارق متجاهلًا سماجته. فالتفت إلى الشاب الآخر:

- وأنت؟

- مازن.. مازن مصطفى جبريل.

رد على الفور الشاب الآخر، والذي كان مصريًا خالصًا ببشرته القمحية، وعينيه السوداوين، وشعره المجعد.

- حسنًا يا مازن أنت وطارق، فلندخل إلى الموضوع مباشرةً. لقد وضعتما الداخلية في وضع محرج بظهوركما على التلفاز مع هذه المذيعة بالذات. الشاب الوسيم الخجول الحاصل على دكتوراه في شيء لا أعرفه..

- علم النفس الإجرامي.

استمر علاء في كلامه دون اهتمام بتعليق طارق:

- والذي نشر أوراقًا بحثية في جريدة مشهورة..

- مجلة.

توقف عن الحديث هذه المرة، ونظر مباشرة لعيني طارق التي تحاشت النظر إليه بالنظر إلى اللافتة الموجودة أمامه:

- أنا لا أعلم كثيرًا عن العلم، لكن صدقاني أنا لم أصل إلى هذه الرتبة بسهولة. من الواضح أنكما من هؤلاء الشباب الذين يهتمون بالعلم، ويسافرون للمنح. في الحقيقة أظن أن ابني قد يصبح مثلكما ـ ما لم تتدّخل تلك الغبية في حياته ـ على أي حال، لقد أحرجتما الجميع بظهوركما مع المذيعة كأننا نعارض ما تطلبان. هل تعلمان ماذا يُقال عنكما في الشارع الآن؟

وقبل أن يرد أحدهما استطرد:

- الشابان اللذان تلقيا عرضًا من وكالة الاستخبارات الأمريكية للعمل معها، وطلبٌ مكتب التحقيقات الفيدرالي مشورتهما في بعض الجرائم قد طلبا أن يفتحا مكتب تحقيقات في مصر لمساعدة العدالة، ومصر تقتل موهبتهما والفائدة التي قد تأتي عن طريقهما بسبب الروتين. وانتشرت نغمة أن لا عجب من فرار العقول النيرة، وأن زويل لو استمر..

قاطعه مازن بهدوء:

- لم يعرض علينا أي منهم ذلك، ولكن المذيعة قالت هذه المعلومات دون..

فقاطعه علاء:

- قالته المذيعة وأصبح حقيقة بالنسبة للجمهور. أنتما بطلان بالنسبة للناس. رفضتما ملايين الدولارات لأن مصر تحتاجكما. هل تعلم أنني استيقظت على هاتف من مساعد الوزير يطلب إنهاء هذا الموضوع؟ هل تعلم معنى أن يهتم الوزير في غضون ساعات من الحلقة؟

رد مازن بلباقة وكأنَّه يحفظ الكلام:

- لم نقصد فعلًا أيًا من هذا. لقد عرضت علينا الظهور معها في البرنامج بما أننا نموذج مشرف للشباب وما إلى ذلك من الشعارات. ثم تطرقت هي إلى فكرتنا في فتح مكتب تحقيقات، وقالت أنها ستساعدنا. لم نعلم أنها ستبني هذه الكذبة بهذا الشكل.

هدأ علاء بعض الشيء ثم قال:

- التعليمات واضحة، ستقومان بفتح مكتب التحقيقات كما تريدان. الأمر جديد في مصر..

وقبل أن يبتسما استطرد:

- لذا يجب أن توضع شروط مُحكمة تجعل الأمر تحت السيطرة وأظن أنكما تعرفان بالفعل أنني سأغلق المكتب إذا لم تلتزما: **أولًا**: لن يتم قبول قضية تتعلق بأي جريمة جنائية. **ثانيًا**: لن تستخرجا رخصة لحمل السلاح. **ثالثًا**:

لن يتم التعامل معكما رسميًا على أنكما جهة تحقيق. بمعنى آخر سيُعتبر أي تدخل منكما في تحقيق جارٍ كمحاولة لعرقلة التحقيق ويعرضكما للمساءلة. **رابعًا:** سيخضع المكتب لمراقبتي شخصيًا، مما يضمن لي الحق في التفتيش على سير المكتب في أي وقت. ما رأيكما؟



- ٤ -

المكتب لأول مرة

- قبل أن تدخل، حاول ألا تحبطني، فهذا مجهود أكثر من شهر.

قالها مازن وهما أمام بابين متجاورين في بناية قديمة تطل بالكاد على ميدان طلعت حرب بوسط البلد. ثم أخذ شهيقًا ليتشجع ودفع الباب الجانبي أولًا، وبدأ في الحديث كأنه سمسار يعرض المكان على مشترٍ:

- تتكون شقتك أساسًا من استقبال وثلاث غرف رئيسية. وقد تم استغلال الاستقبال والغرفتين في المكتب نفسه، والثالثة فُتح لها باب منفصل عنه يطل على السلم مباشرة، وبها حمام خاص لنستعملها كغرفة نوم ومعيشة في الليالي الطارئة.

كانت الغرفة بسيطة ويتكون أثاثها من سريرين متقابلين وخزانة مشتركة بينهما، وطاولة عليها حاسب آلي محمول قديم

بعض الشيء. ابتسم عندما رأى استحسان طارق، فأغلق باب الغرفة، والتفت إلى باب المكتب واستطرد وهو يبحث عن مفتاحه:

- أمَّا المكتب نفسه، فلقد عمدت إلى إظهار المساحات من خلال توجيه الديكور كله ناحية المكتب.

فُتح باب المكتب أخيرًا لترتسم معالم المفاجأة على وجه مازن، الأمر الذي زاد من حماسة طارق أكثر وإن لم تختلف نبرته كثيرًا:

- منذ لحظة دخول العميل من باب المكتب، وأثناء الأربع وعشرين خطوة التالية حتى يصل إلى مقعده، سيجد نفسه تلقائيًا تحت تأثيرنا بشكل كامل، ومعترفًا بأننا أعلى منه ثقافة وخبرة وعلى دراية بالقانون والجرائم. سيتولد عنده انطباع أولي بقدرتنا على فعل أي شيء. وذلك لأنني اهتممت في ديكور المكتب بإبراز الثقافة، وجوانب تعجيزية لأكبر شريحة من العملاء.

قال ذلك وهو يشير إلى مكتبة تمتد على الحائطين الجانبيين من بعد باب المكتب بمتر تقريبًا وتستمر حتى انتهاء الحائط، وتدور معه على الحائط المقابل للباب والذي يعلو المكتب.

- يوجد بها أكثر من ألفي كتاب. وقد استخدمت المنظور القسري لأرغم العميل على رؤية عناوين معينة تؤكد ذلك الانطباع ككتب القانون، والكتب التي تحتوي عناوينها على كلمة جريمة، بالإضافة إلى كتب بلغات صعبة كاليابانية والروسية وذلك لتعزيز إحساس التفوق. أما عن المكتب..

قالها مشيرًا للمكتب، والذي تفاجئ منه طارق بعض الشيء:

- أقدم لك أول مكتب يجلس إليه شخصان.

قالها مُشيرًا إلى الكرسيين المتطابقين الموجودين خلف قاعدة مكتب على شكل مثلث متساوي الأضلاع. وعند رأسه - وفي الجهة المقابلة - يوجد كرسي مختلف عنهما قليلًا. ابتسم طارق لتلك الملاحظة، بينما استطرد مازن:

- وهنا اللمسة الإنسانية..

قالها مشيرًا إلى اللوحة الموجودة فوق المكتب، والتي تتوسط الكرسيين وتفصل بين طرفي المكتبة اللتين توقفتا قبلها بنحو متر من الجهتين. اللوحة كانت مرسومة لشخصية كرتونية تمثل شابًا يرتدي سترة جلدية، ويحمل حقيبة ظهر، ويمسك بمسدس ضوئي إلى جانبه موجهًا نظرة حزن وتحدٍ لنقطة ما أعلى منه بقليل، وهنا تحدث طارق لأول مرة بجمل متقطعة:

- جميل! حقًا لا أستطيع التعليق.. هذه اللوحة..

ابتسم مازن متفهمًا، لينهي طارق جملته بنبرة أكثر ثقةً:

- أنت تفهم.

- لقد حاولت مراعاة كل شيء، ولا ينقصنا الآن سوى العميل.



-٥-

العميل الأول: تهذيب الأمير

لم يكد ينتهي طارق من جلوسه لأول مرة على كرسيه خلف المكتب، بينما وقف مازن مراقبًا انطباع صديقه حتى دخلت شابة من الباب بخطوات مترددة، وابتسامة خجول:

- مساء الخير! لقد قرأت الإعلان على الإنترنت و..

- أهلًا وسهلًا! تفضلي.

قاطعها مازن لتكتسب مزيدًا من الثقة وقالت وهي تزيد من إحكام قبضتها على حقيبتها الصغيرة:

- أعتذر أنني لم أطرق الباب.

- لا عليكِ. تفضلي!

قالها طارق وهو يتفحصها بصورة بدت وقحة خاصة من شخص مسالم مثله. وجدها جميلة، ذلك الجمال الفجّ المباشر، الذي يسيطر عليك بمجرد رؤيته. تعلم تلك الفتيات التي إذا

أردت وصفهن فتقول جميلة وتسكت. كانت لتصبح فتاة أحلام الجميع لو اهتمت قليلًا بمظهرها. شعرها ناعم طويل، لكنها عقدته في ضفيرة وحيدة، وأطلقته على هيئة «ذيل حصان». عيناها بلون البحر، لكنها لم تستعمل أي كحل أو ترسيم لهما، ولم تستعمل أي مستحضرات تجميل على وجهها. عادة يضيف الأمر لهن جمالًا، لكن ليس إذا ارتدت بنطالًا من الجينز وقميصًا لا تظهر سوى ياقته السماوية من تلك السترة السوداء الثقيلة التي تخفي كل معالمها.

هربت تهذيب من تركيز طارق بأن تنظر إلى المكتبة الممتدة على جانبي الحائط. فتحدث طارق مبتسمًا بهدوئه المعتاد:

- هل توافق؟

انتظر مازن لحظات حتى استوعب أن السؤال مُوجّه إليه:

- أوافق على ماذا؟

- الأمر واضح. نظرة مترددة وقبضة مُحكمة على الحقيبة، بل حتى جملة «لقد قرأت الإعلان على الأنترنت» ألم تفهم؟

تحدثت هي مترددة بعدها:

- نعم لقد رأيت الإعلان وشاهدت الحلقة بعده وأريد فعلًا العمل معكما.

- للأسف لا نحتاج، نحن متكاملان على هذا النحو ولا نحتاج شخصا آخر قد ي...

رد مازن فورًا، لتقاطعه بثقة مفاجئة:

- هذا ما كنت أظنه أيضًا وسبب توتري حتى لحظات قليلة فائتة. لقد شاهدت الحلقة، وعرفت كيف أنكما مميزان وتعرفان كل شيء تقريبًا، وتريدان فتح مكتب تحقيقات. حسنًا، هذا حلمي أيضًا. لكن تساءلت لماذا قد توظفان شخصًا مثلي؟

- هذا صحيح.

قالها مازن باستفزاز لترد بثقة أكبر:

- في الحقيقة، كنت أظنكما أفضل من هذا.

نظرت في نهاية الجملة إلى طارق لترى رد فعله، فرد مازن:

- نحن لسنا بهذا السوء، إنه أنا فقط.

ضحك طارق مُعلقًا:

- أضمن لكِ هذا.

- لم أخرج عن الإطار المهني. لم أقصد أنكما أفضل من هذا أخلاقيًا، وإنما عمليًا. لقد ظننت أنكما العبقريان،

الأذكى على الإطلاق. ظننت أنني قد وجدت من هو أذكى مني أخيرًا.

سكتت لحظة كأنها تنتظر تعليقًا، ثم استطردت:

- لا أحد منكما يحل شيفرات ميتة، على الأقل لم تتطرّقا إلى ذلك في الحلقة.

- لم نتعرض لتلك النقطة في الحلقة، أعتقد أن الأمر أننا إذا تعرضنا..

- تهذيب الأمير، المركز الأول في فك الشيفرات على مستوى العالم للعامين الماضيين، ٧١ شيفرة في أسبوعين.

قالتها وهي تمد يدها لطارق لتصافحه، فصافحها طارق معجبًا بهذا النقاش.

- للأسف لن نحتاج إلى ذلك، لكن بالطبع سنتصل بكِ إذا واجهنا مستوى صعبًا في لعبة ما.

عقبت كأنها لم تسمع جملة مازن:

- لكنني لم أقصد أنكما سيئان لأنكما لا تعرفان الشيفرات. فبالطبع تعرفان أشياء أخرى لا أعرفها. لا عيب في جهل الإنسان ببعض النقاط، لكن العيب في تظاهره بمعرفة شيء لا يعرفه.

سكت الجميع للحظة، فعقبّ طارق كاتمًا ضحكه:

- أظنها تقصدك يا مازن.

- لم ندّعِ شيئًا، المذيعة هي التي روت قصصًا كاذبة عنّا، وأخبرت..

- أستاذ مازن! لا أتحدث عمّا قالته المذيعة بالرغم من أنني أظن أنك من تلاعبت بها وجعلتها تقوله، وإنما أتحدث عن اللغات. ترتيب الكتب في المكتبة يدل على عدم درايتكما باللغات بشكل كافٍ. رأيت كتبًا متكررة، لكن بلغاتٍ مختلفة.

- هذا لأننا نقارن الترجمات.

ردّ مازن على الفور، لترد تهذيب ضاحكة:

- حسنًا لماذا أجد رواية الجريمة والعقاب بنسختها الروسية بين الكتب القانونية؟

بعد لحظة من الصمت ردت بلغة غريبة، بلهجة متقنة بجملة قصيرة فنظرا إلى بعضهما البعض فردت مبتسمة:

- لا أظن أنكما تتحدثان الروسية. تهذيب الأمير، أتحدث الروسية مع أربع لغات أخرى، وفي غضون عام سيصبحون خمسًا.

قالتها وهي تمد يدها ناحية طارق، الذي سلّم عليها منبهرًا ثم قال:

- سنبحث الأمر ونرد عليكِ، أعدكِ بذلك.

- لا مجال للبحث، أرجوك! هذا حلم كبير بالنسبة لي، ولن أخرج إلا بعد أن أسمع ردًا نهائيًا.

دار مازن حول المكتب ليجلس، على أحد الكرسيين:

- حسنًا، لنجرِ مقابلة عمل رسمية.

جلس طارق إلى جانبه، وجلست هي أمامهما عند رأس المكتب. فبدأ طارق الحديث:

- في البداية، أعتذر عن سلوك مازن، لقد ظنكِ عميلة وقد خاب ظنه عندما اتضح أنكِ تبحثين عن عمل. ما اسمك؟

- تهذيب الأمير مصطفى، تخرجت في كلية الإعلام بتقدير امتياز. حاولت العمل في أكثر من شيء، لكن لم أستطع قتل شغفي، وعملت في التشفير وما يستلزمه من لغات برمجة. أحب القراءة، وأحب الموسيقا.

- جيّد جدًا.

- جيّد جدًا؟ لقد سألتها عن اسمها فكادت أن تخبرك عن أكلتها المفضلة.

رد طارق وهو يكتم ضحكته:

- لا يمكنني إنكار إمكانياتك. تتحدثين أربع لغات وفي طريقك للخامسة. تحلين أنواعًا كثيرة من التشفير، لكنَّ هناك شيئًا غريبًا وراءك لا أفهمه.

بدا الاهتمام على وجه مازن، بينما بدت لمحة من التردد على وجهها:

- أنتِ جميلة، ولكنك ترتدين ملابس لا تساعدك على إظهار جمالك. ليست ملابس رسمية حتى إذا اعتبرنا أن المناسبة هي التي جعلتك ترتدينها، ألا تعتقد ذلك؟

مال مازن إلى الأمام مقتربًا منها، وتحدث بسرعة كأنه يفكر بصوت عالٍ:

- صحيح! الملابس واضحة، لكن الدافع هو المستتر. إذا أطلقت لخيالي العنان، سأجدك الفتاة الوحيدة وسط إخوتك الأولاد. لطالما اعتدتِ أن تكوني الأذكى، لكن تعلمين «الجميلات حمقاوات»، لذا لا بد ألا تصبحي جميلة. مجال التشفير وبرمجته ليست شيئًا يمكنك ممارسته في بيئة عادية منذ الصغر، وتعلم اللغات لا يأتي إلا برغبة حقيقيّة من الشخص، حتى إنَّك لا زلتِ تتعلمين لغاتٍ جديدة حتى يومنا هذا. لقد حدث ما غيرك

وجعلك تهتمين بالتشفير واللغات. لا يمكنني التفكير في شيءٍ يجعل شخصًا يهتم بالتشفير. ولا أرى شيئًا يمكن أن يجعل فتاة جميلة تصلح لأن تكون مذيعة ناجحة جدًا بتلك اللغات، وهذا الوجه أن تخبئ كل ذلك وتستميت للعمل في مكتب تحقيقات. ما وراءك يا أستاذة تهذيب؟

طأطأت تهذيب رأسها متجنبة النظر إليهما طوال حديثه، ثم رفعت رأسها وقد احتقن وجهها، واحمّر لونه في محاولة منها لكبت دموعها:

- ليس كل ما قلته صحيحًا، لكن هناك بالفعل شيئًا ورائي. تهذيب الأمير مصطفى، الأخت التوأم لبيان الأمير مصطفى.

قالتها وهي تمد يدها لمازن، وقد سالت دمعة من عينيها.



-٦-

العميل الثاني: الأول: يونس عبد الوهاب

- مرت ثلاثة أيام ولم يأتِ عميل واحد.

قالها مازن ونظره مُعلق بالباب. انتظر الرد للحظات، ولمّا لم يأتِ، نظر ليجد طارق وقد اختفت رأسه خلف رواية «العمى» بنسختها الإنجليزية. اقترب منه مازن وقد استفزه بروده وتحدث بصوت مرتفع قليلًا:

- حين تدرك أن الكتاب خير صديق، لكنه يسبب الأسى، وتقرر أن تنهب أو تؤسس مصرفًا، لا فرق، تعال إليّ كي أشرح لك بعض الأمور عن الأقفال والمتاريس.

لا بد أن غرابة الجملة هي ما دفعت تهذيب إلى التوقف عن محاولاتها في جر مقعد من أمام المكتب لتضعه خلف المكتب معهما. نظرت إلى مازن الذي ابتسم وأشار لها على طارق كأنه يقول شاهدي ما سيحدث. وبالفعل أغلق طارق الكتاب بحركة

مفاجئة وظل مُطبقًا عليه بكلتا يديه أمام وجهه، ونظره ثابت نحو الفراغ.

- أي مصرف؟

بدا سؤالها غبيًا، خاصة بعدما لم تتلقَ إجابة، فاستدركت بسؤال أكثر عقلانية:

- ماذا يحدث؟

سار مازن بخطواتٍ واثقة، وهو يتحدث بشكل مسرحي بصوتٍ مرتفع بعض الشيء:

- ما يحدث يا تهذيب، هو درس في انتظار اللحظة المناسبة قبل الهجوم. لقد جردت عدوي من أسلحته، وانتظرت حتى انشغل بمشاريع أخرى..

وهنا قد وصل إلى مقعد طارق، ومال عليه لينهي جملته بشكل مسرحي:

- .. وضربت الضربة القاضية.

لم تسأل تهذيب عن معنى ما يحدث، ولكنها نظرت إلى طارق في عجز، فتحدث بصوت منخفض وكأنه يفكر بصوت دون أن تتحرك نظرته عن تلك النقطة:

- إنه تحدٍ بسيط نلعبه منذ زمن. نتحدى بعضنا البعض بتذكر مقاطع من الروايات والكتب. ويقصد هنا بانتظاره

اللحظة المناسبة، هو انشغالي في كتاب، هكذا لن يمكنني معرفة المقطع أو التركيز بشكل كامل.

- هل الأمر بتلك الأهمية؟

سألت تهذيب في عدم اهتمام بعد أن أدركت تفاهة الأمر، واستأنفت محاولاتها في تقريب المقعد من المكتب، فأجاب مازن:

- لدى الأستاذ ذاكرة تصويرية، أي لديه امتياز كبير جدًا، ومع ذلك مُتقدم بنقطة وحيدة عليّ. لكن هل ستنفعه موهبته هذه المرة؟ أتعلمين! من الجيد وجود شخص ثالث محايد ليكون حكمًا عند اختلافنا، فصاحبنا أحيانًا يتذكر نفس المقطع من أكثر من كتاب ولا يذكر الكتاب الذي أقصده.

- وكيف أعرف ما تقصده؟ قد تغيره إذا كان مذكورًا في أكثر من كتاب.

رد طارق بسرعة، لتجيبه تهذيب بسرعة بديهة:

- حسنًا، لديّ اقتراح لحل تلك الأزمة بينكما، يكتب صاحب المقطع اسم الكتاب ويسلمه إليّ، وبذلك لن يمكنه تغييره.

- هذا اقتراح جيّد!

قالها صوت غريب من ناحية الباب. نظروا ناحيته تلقائيًا ليجدوا شابًا طويل القامة، نحيل القوام، ذا بشرة بيضاء. ملابسه بسيطة، وعيناه حائرتان في المكان. يبدو على هيئته الاحترام وعلى صوته الوقار رغم شبابه. باختصار كان نسخة من طارق وإن امتاز الأخير عنه بعويناته الطبية المستديرة بينما امتاز الشاب عنه بلحية متوسطة الطول.

تفحصه طارق جيدا بينما ابتسم مازن قائلًا:

- تفضل!

دخل الشاب إلى المكتب، وبخطوات مترددة قطع الأربع وعشرين خطوة، وبابتسامة ودود وصل إلى المكتب. وبعد الترحيب به ظل واقفًا أمام المكتب، حتى دفعت تهذيب الكرسي إلى مكانه أمام رأس المثلث، بينما جلست هي على كرسيٍّ على ضلع مائل ناحية طارق، كان قد وضعه مازن مُسبقًا، وجلس الاثنان في مكانهما خلف المكتب.

أخرج الشاب من حقيبة جلدية سوداء صغيرة أمسكها بيده اليسرى ـ والتي ارتدى فيها ساعة ذكية سوداء كذلك ـ بضع بطاقات شخصية صغيرة وأعطى كل واحد من الثلاثة بطاقة:

- لقد أتيت اليوم ممثلًا لشركة أوليمبس للبرمجيات رغم كوني مُبرمجًا فيها ولا علاقة لي بالأعمال الإدارية.

لم يركزّ مازن في حديثه ـ فهو ليس مجال عمله على أي حال ـ حيث جذبت البطاقة انتباهه بالكامل. تصميمها البسيط المكوّن من حرف N مائل، وقد توزعت حوله حروف الياء والواو والسين كانت مُعقدة مقارنة بالصورة المعتادة للبطاقات الشخصية، لكن انتزعته كلمة من الجملة السابقة جعلته يسأل بانفعال:

- تقصد شركة أوليمبس الـ..

- نعم، هي.

- ما الموضوع يا أستاذ..

خطف طارق نظرة سريعة وهو يتحدث إلى البطاقة لأول مرة، لكنه توقف عندما لم يجد الاسم مكتوبًا بشكل مباشر لتستدرك تهذيب الموقف:

- أستاذ يونس، تصميم بطاقتك فريد! ماذا قد تريد شركة أوليمبس منّا؟

ابتسم يونس بهدوء وهو يسند ظهره إلى المقعد:

- ببساطة نريدكم أن تتعقبوا شخصًا يحاول ابتزازنا منذ فترة لنسوي الأمر معه، ونقنعه بأن يوقع عقدًا بالحفاظ على سرية المعلومات التي لديه.

- ما نوع المعلومات؟

سأله مازن، ليظهر عليه التوتّر ثم تحدّث بصوت مُحرج:

- هل أتحدث أمامها؟ إنها لم تظهر معكما على التلفاز.

- إنها صديقتنا، ومحققة ممتازة لا تظهر إلا في القضايا الصعبة فقط.

قالها مازن بهدوء لتبتسم تهذيب وتحمّر وجنتيها. ابتسم يونس وحياها مرة أخرى، ثم تحدث بنبرة حزينة:

- لقد حصل على نسخة من تطبيق لنا قبل إصداره ويهددنا بنشره.

- حسنًا، سنحتاج معلومات عنه.

قالتها تهذيب في محاولة إتقان دور المُحقق.

- كل المعلومات عن هذا الشخص موجودة هنا.

قالها وهو يخرج وحد تخزين بيانات صغيرة من حقيبته.

أخذها مازن، وتحدث بابتسامة خبيثة:

- قصدت تهذيب معلومات عن التطبيق، أليس كذلك؟

أومأت تهذيب، ليصمت يونس قليلًا ثم في محاولة للتهرب:

- كل ما يمكنني قوله أنه تطبيق من سلسلة WHOme.

فهم الجميع محاولته لعدم الإفصاح. وهنا تحدث طارق لأول مرة:

- هناك شيء غريب فيما يقول م/ يونس. واحدة من كبرى شركات البرمجيات في العالم، وبالطبع الأكبر في الشرق الأوسط لا بد أن لديها أفضل فرق التأمين. وحتى إن تخطاها أحدهم وسرق معلومات عنها، لا بد أنهم سيستطيعون تحديد مكانه بسهولة عن طريق هاتفه مثلًا بشكل غير قانوني حتى، بالإضافة إلى أن تطبيقات هذه السلسلة مجانية حسبما أتذكر، فلماذا لا تطرح الشركة التطبيق الجديد في السوق قبل أن يطرحه هو؟ بل لماذا لم يطرحه هو؟ كما قلت: الأمر غريب، ألا تظن ذلك يا مازن؟

- هذا غريب بالفعل، وقد يكون عندي تفسير بسيط. التطبيق لن يُطرح في السوق. هذا التطبيق إما يخالف القانون، أو مسروق من تطبيق آخر مثلًا!

- مسروق؟ لا بالطبع، أنا المهندس المسؤول عن تصميم السلسلة كلها، وأخبرك أنه من إبداعنا الخالص.

- أين مدير أمن الشركة؟ لا بد أنها مسؤوليته.

قالها طارق بهدوء، ليرد مازن:

- يا صديقي، المشكلة كبيرة وهي بين المهندس المسؤول وشخصيات معدودة في الإدارة. فريق الأمن لا يعلم عنها شيئًا. م/ يونس في وضع حرج، لا يستطيع إبلاغ أمن الشركة، ولا يستطيع إبلاغ الشرطة ـ وإلا ما كنا لنراه هنا ـ ولا يستطيع حتى التغاضي عن سرقة التطبيق لأنه ليس مجرد تطبيق مجاني سيعرضونه قريبًا.

مالت تهذيب إلى الأمام لتقترب منه:

- لقد أتيت لنساعدك، ساعدنا كي نستطيع مساعدتك.

- لقد انتصرتم! لقد أثبتّم أنكم الأذكى وقد تساعدونني فعلًا. في البداية، ليس لدينا فريق تأمين، ويتم تأمين الشركة بشكل إلكتروني كامل باستثناء. لكن عامةً لم أكتم المعلومات بسبب سريتها فقط، وإنما لسبب آخر. لا أظن أن الكثيرين قد يوافقوا على قبول قضية من هذا النوع، فمن نطارده هنا مختلف بعض الشيء، إننا نطارد..

سكت لحظة وهو يقلب النظر في وجوههم حتى أنهى جملته مترددًا:

- الشيطان.

ضحك مازن للحظة، حتى اكتشف أنه يضحك وحده، وأن وجه طارق جاد، وأن يونس متأثر بما قال:

- أي شيطان؟

- هذا الشيطان.

قالها يونس ونقر نقرتين على ساعته.



-٧-

يوم أن وُلِدَ الشيطان

ظهرت كرة ضوئية حمراء في حجم كرة البنج فوق الساعة، سحبها يونس بيده اليمنى ووضعها أمامهم على ارتفاع مناسبة فوق المكتب، ثم قال: «تشغيل». دارت الكرة حول نفسها عدة مرات، ثم انفجرت لتشبه شاشة أثيرية بحجم تلفاز متوسط فوق المكتب، وبدأ يونس في التحدث بينما تتوالى الصور على الشاشة:

- يتلخص هدف التكنولوجيا الرئيسي في زيادة راحة الإنسان. فاكتشاف الإنسان للنار كان تكنولوجيا في يومٍ ما (وهنا ظهرت صورة إنسان بدائي يجلس أمام نيران)، واختراع المصباح الكهربائي كان تكنولوجيا في عصرٍ آخر (ظهرت صورة توماس إديسون بجوار مصباح كهربائي منخفض الإضاءة)، واختراع الـ...

هنا قاطعه مازن بنفاد صبرٍ:

- لقد فهمنا هذه الجزئية، هل يمكننا التسريع قليلًا.

بدت الخيبة على وجه يونس، ثم أدار سبابة يده اليسرى في الهواء في إشارة للتسريع، فتوالت بسرعة صور اختراعاتٍ كثيرة، ولمحات من الحروب، ومن رحلات الفضاء والعديد من الإنجازات البشرية التكنولوجية حتى وصل إلى شاشة سوداء فقبض يونس يده اليسرى بسرعة لتتوقف الشاشة عند هذه اللقطة.

- لقد فهمنا أن هدف التكنولوجيا هو راحة الإنسان، لكن كيف نريح الإنسان إذا لم يكن مستعدًا لهذه الراحة.

وبعد ختامه لهذه الجملة، فتح يونس قبضته ببطء، لتظهر صورة لشخصٍ يسير وحيدًا على جسرٍ، ثم - وبدون مقدمات - تسلق حاجز الجسر وقفز في النهر مُنهيًا حياته. توقفت الصورة حول المكان الذي قفز منه الشخص للحظاتٍ قبل أن تعود الشاشة إلى اللون الأسود، ويُكتب عليها بحروف بيضاء:

- «**لا يمكننا تسهيل حياة لا يريدها صاحبها**»

- لقد كان هذا عرضي عندما عرضت المشروع على الشركة لأول مرة منذ سبع سنوات، ولقد اقتنعت الشركة بعد مدة وبدأوا في تنفيذ مشروعي.. مشروع WHOme.

- لقد سمعنا عنه بالطبع.

قالتها تهذيب، ليستطرد يونس:

- أنا صاحب الفكرة ورئيس مهندسي المشروع. الفكرة باختصار أنه لا يوجد شخص سوي بشكل كامل. هناك البخيل، وهناك الكريم. هناك العطوف، وهناك القاسي. هناك قوي الشخصية، وهناك ضعيف الشخصية. هناك..

- مجددًا، فهمنا تلك النقطة، هناك كل الأنماط من البشر.

- لا، أنت لا تفهمني يا أستاذ مازن. إن كنت بخيلًا أكثر من اللازم، ستشعر باضطراب نفسي خفي. وإن كنت ضعيف الشخصية ستشعر بعدم الاستقرار. وإن كنت قوي الشخصية ستشعر بثِقل واجباتك. إن كنت حالمًا ستصطدم بالواقع. وإن كنت متشائمًا لن تجد سببًا للحياة. لقد عملنا في تطبيقنا على جعل الإنسان يفهم نفسه أكثر، ويطّور من نفسه ليصل إلى أفضل نسخة قد يصلها من نفسه.

- لقد أنشأتم تطبيقاتٍ نفسية، هذا ما فهمته.

- بل أنشأنا تطبيقاتٍ تفاعلية شخصية. تعمل التطبيقات عن طريق وضع سماعة أذن صغيرة، والوصول إلى الميكروفون والكاميرا وكل مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بك. وبعد شراء التطبيق، يقوم بمعالجة نشاطك

على الإنترنت، ونشاطك اليومي من خلال تسجيل محادثاتك كلها، ويقوم بتحليل شخصيتك ثم يبدأ في التواصل معك من خلال سماعة الأذن. نستهدف في البداية بناء ثقة المستخدم في التطبيق ومنطقه وتحليله. ثم يبدأ بتوجيه النصائح في المواقف الحياتية مباشرة. مثلًا أول تطبيق تم إصداره من السلسلة كان SHYme وكان يستهدف المستخدمين الذين يشعرون بخجل زائد. مثلًا عندما يسألك زميلك عن مرتبك في الشركة، ولا تريد الإجابة لكنك تكون مُحرجًا ينصحك التطبيق بردٍ مناسب يمنع عنك الحرج، ويجعلك لا تفصح عن المعلومة إذا أردت ألا تخبره. إذا قابلت فتاة تعجبك ولا تستطيع التحدث معها، يساعدك التطبيق على تخطي حاجز خجلك. هذا التطبيق كان بداية وقد لاقى نجاحًا كبيرًا ليتم إصدار ثلاثة عشر تطبيقًا بعده. تطبيق STINGYme للشخص البخيل، HESIme للشخص المتردد، RUSHme للشخص المتسرع، وEMOme للشخص العاطفي، وPUREme لمن يرى...

قاطعه مازن:

- مجددًا! لقد فهمنا، صدقني لا حاجة لأكثر من مثالٍ على أي نقطة تقولها.

- حسنًا، أين الشيطان من كل هذا؟

قالتها تهذيب، ليبتسم لها يونس على الفور:

- سؤال جيد. لقد برمجت مؤخرًا تطبيقًا ضمن السلسلة يسمح للمستخدم الذي يرى نفسه طيبًا حد السذاجة ولا يستطيع أخذ موقف في الوقت المناسب.. لمن يرى أن الطيبة الزائدة قد انقلبت ضده.. لمن لا يستطيع أن يميز الأشرار لأنه ليس واحدًا منهم.. لقد أنشأنا تطبيق YELLOWme!

- هل تقصد أنك قد خلقت خوارزمية تحث على الشر؟

سألت تهذيب ليرد:

- بالطبع لم يكن هذا هدفنا! لقد أنشأنا خوارزمية أنانية شريرة طامعة وتبحث عن أنصاف الفرص لانتهازها، وإن لم تستطع النجاح، فليسقط الآخرون ليبقى صاحب التطبيق هو الأنجح. كان الهدف أن يفهم صاحب التطبيق الشر، وأن يحرضه التطبيق على الإثم في بعض الأحيان، لتطّور شخصيته، وليكتشف نفسه بالكامل، فالشر جزء أصيل من الإنسان، ومن لم يكتشفه في نفسه لم يصل إلى الدرجة الكافية لفهم النفس.

- هذا شيطانٌ فعلًا.

غمغمت تهذيب، ليرد يونس:

- لقد كان لنا تجارب مماثلة لكن بصورة أقل في تطبيقات سابقة مثل تطبيق EMOme، عندما جعلنا الشخص يهمل بعض العواطف التي قد تؤثر على قراراته، وتسخيف بعض المشاعر بوجه عام، وكذلك تطبيق...

قاطعه مازن:

- كما اتفقنا، مثال واحد يكفي.

- حسنًا، لقد اخترقنا عالم المشاعر غير الطيبة أكثر من مرة، ولم يحدث ما حدث في تطبيق YELLOWme.

- ماذا حدث؟

سألته تهذيب:

- هذا سؤال جيد.

جاوب يونس بابتسامة عريضة قبل أن يندفع مازن:

- لا، هذا سؤال بديهي. لعلمك لا يجب أن تكون كل أسئلتها جيدة.

ظهر الضيق على وجه تهذيب، بينما ظهر الإحراج على وجه يونس، فاستطرد:

- نسمح لكل تطبيقاتنا بالتطور والتوسع وتثقيف نفسها من كل الموارد المُتاحة لها، سواء كاميرا الهاتف، أو الميكروفون، أو الإنترنت وما يشمله من مقالات وكتب وروايات وأفلام وصور. كل تطبيق يصل لأقصى ما يمكنه في تخصصه. أي أن تطبيق RUSHme مثلًا يعلم كل شيء ممكن عن التهور والتسرع، وكل القرارات الخاطئة في التاريخ بسبب ذلك، بينما تطبيق..

حوّل يونس نظره من طارق لمازن، ليجده يحرك سبابته يمينًا ويسارًا في إشارة «لا»، ليقطع يونس حديثه:

- فهمت، مثال واحد يكفي! في النهاية، وصل تطبيق YELLOWme إلى أقصى درجات الشر، وقرأ كل ما يمكنه قراءته ليصل إلى تلك المكانة. وعند دراسة الملفات التي حملّها هذا التطبيق، وجدنا أنه أصبح على دراية كاملة بعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الجريمة. وكذلك قرأ في الأديان، والتاريخ، وتعلّم لغة الجسد بالإضافة لتحميله كل بيانات تطبيقات WHOme السابقة. أي أنه قد درس كل الشخصيات التي تعاملت مع تطبيقاتنا السابقة والذي يقدر عددهم بأكثر من ثلاثمئة مليون شخص. أي أنه درس ثلاثمئة مليون شخصية مختلفة.

- لماذا أشعر وكأن للقصة بقية؟

سأل طارق، ليومئ يونس بحزن:

- لقد اكتشفنا كل ما أخبرتك به في مرحلة التجريب العملي مع المجموعة الأولى، ولقد انسحبت كلها منذ البداية ما عدا حسام شعبان الذي أقنعه التطبيق بأن يستغل فرصة أنه تطبيق فاسد ليبتزنا في مبلغ كبير، لكن هذه ليست المشكلة على الإطلاق.

- المشكلة أنه احتفظ بالتطبيق، أليس كذلك؟

سأله طارق وهو يمسح نظارته بمنديل قماش.

- للأسف هذا صحيح! لقد وقّعنا عقدًا ينص على أن نتنازل له عن النسخة التجريبية حتى وقت انتهائها أي بعد سنة إلا تسعة عشر يومًا.

سأله مازن على الفور:

- وماذا تريد؟

- لقد قطع التطبيق أي صلة له بالشركة، وأغلق كل الأبواب الخلفية التي قد تمكننا من الدخول، ولكي يفعل ذلك لا بد أنه درس برمجة كذلك.

- مجددًا ماذا تريد؟

سأل مازن متجاهلًا.

- أريد أن أصل لحسام قبل أن يسبّب مشكلة أو جريمة، ويكتشف الرأي العام أنها بسبب تطبيق من شركتنا. نريد الوصول إليه، وبتوصيل هاتفه في ساعتي سيمكنني قتل التطبيق نهائيًا.

سكت الجميع لحظة تبادلوا فيها النظرات قبل أن تكسر تهذيب حاجز الصمت:

- ما حجم المشاكل التي قد يسببها؟

فسكت لحظة قبل أن يتحدث ببطء:

- أعلم أن الأمر صعب التخيل، لكننا نتحدث هنا عن الشر الخالص، الشر النقي. الشر الذي يهدف إلى نشر الألم والظلم لأنه شرير دون أي استفادة. الشر الذي يهدف لقتل السعادة، ومحو الخير. الشر الذي يرى كل شيء جيد بمثابة عدو له. تخيلي معي جريمة تم تخطيطها بواسطة الشر الأعظم، بلا دافع أو مشاعر، بلا ثغرات أو فجوات. فهو يعمل بنظام منطقي لا تؤثر عليه نواقصنا البشرية، وفي نفس الوقت يعرف القانون ودرس ثغراته. إننا نتحدث عن شيء قد يدمر العالم إذا أتته الفرصة بدون دافع إلا لأنه أمرٌ شرير فحسب. وبالطبع لا يمكنني اللجوء إلى

الشرطة – رغم أنني اقترحت ذلك – لأن المدير يخاف على سمعة شركته ولا يُقدّر خطورة ما نحن بصدده.

غرقت الغرفة في صمتٍ طويل بعد جملة يونس الأخيرة. وأثناء ذلك الصمت، اعتدل طارق فجأة في جلسته كأنه لاحظ أو تذكر شيئًا هامًا، ثم أمسك بواحدة من رزمة الورق المُلون الصغير الموجود على المكتب، وكتب عليها عدة كلمات قصيرة، ووضعها على المكتب وكفه فوقها ـ كي لا يرى أحد المكتوب فيها ـ وأزاحها ناحية مازن وقد ارتسمت الجدية على وجهه. نظر مازن في الورقة ببطء، لتكتسي ملامحه بالجدية، ثم نظر إلى طارق مرة أخرى وأومأ له ببطء. قالت تهذيب في نفسها «لا بد أنه أمرٌ خطير» بينما ارتسمت الدهشة على ملامح يونس حيث لم يتوقع أن يؤثر عرضه فيهما إلى هذا الحد. حدث كل هذا والمكتب غارقٌ في الصمت حتى كسره طارق أخيرًا بصوته الهادئ:

- نريد نسخة من هذا التطبيق.

- هذه ليست فكرة جيّدة.

أجابه يونس بسرعة، ليرد مازن:

- دع لنا مسؤولية تصنيف الأفكار، فهو ما نتقاضى عليه أجرنا.



-٨-

ليست بريئة

في نفس اليوم..

جلس طارق ومازن إلى طاولة في أحد المطاعم القريبة من المكتب. وقد كان مطعمًا صغيرًا بتصميم بسيط، وواجهة أبسط مكتوب عليها بحروف مائلة ـ بالإنجليزية بالطبع ـ «مطعم روكا» وبخط أصغر على اليمين: «**إدارة الطاهية رقية عثمان**». مطعم بسيط غير مزدحم في هذه الفترة، حتى أن مقعد الشخص المسؤول عن حساب الزبائن والموجود بجوار الباب كان فارغًا. جاءت النادلة وقد كانت شابة جميلة بملامح دقيقة وعينين سوداوين. وقد ارتدت الزي المُوحد للمطعم والذي يعتمد على الأزرق والأحمر في تصميمه. ناولتهما قائمتي طعام ليظهر أثر حرق صغير على كف يدها اليسرى، وانتظرت حتى أخذت طلباتهما، ودونتهما على ورقة صغيرة معها، وانصرفت.

ـ لم أتوقع أن تُفضل تهذيب إعادة ترتيب المكتبة على أن تأتي معنا.

قالها طارق ناظرًا إلى الشارع عبر الزجاج الشفاف، ليرد مازن:

- نعم إنها متفانية، لكنني لم أتوقع أن تسمح لها بترتيب المكتبة التي عملت على ترتيبها لأيام.

تجاهل طارق الجملة الأخيرة قائلًا بهدوء:

- بالطبع متفانية.

نظر إليه مازن متشككًا قائلًا:

- لماذا أشعر أن لهجتك ليست بريئة.

- لا أقصد شيئًا على الإطلاق.

ابتسم طارق بعد جملته، ليحرك مازن يده على شعره المُجعد متجنبًا النظر إليه.

في المكتب..

في نفس الوقت..

وقفت تهذيب أمام المكتب المثلث طويلًا، ونظرها مُعلق بالورقة الصغيرة التي كتبها طارق لمازن في اجتماعهم السابق. مرت دقيقة وهي ساكنة تنظر إلى الورقة التي سكنت في براءة،

بينما دارت بداخلها معركة طويلة حول إذا ما يُعتبر هذا تجسسًا، أم محاولة لفهم طريقة تفكيرهما بشكل أفضل؟ رفعت نظرها عن المكتب قليلًا لتجد فتى اللوحة ينظر إليها في تحدٍ. وجلت قليلًا، وابتسمت:

- إنها مجرد لوحة.

ثم قطبت حاجبيها في إشارة أنها قد اتخذت قرارها، ثم دارت وذهبت إلى المكتبة لتبدأ ترتيبها من بداية الغرفة. وفي منتصف الطريق - وبدون مقدمات - عادت بخطوات سريعة إلى المكتب، وأمسكت الورقة وقرأتها بصوت مرتفع:

- «**رواية ظل الريح لـ كارلوس زافون**»

انتظرت قليلًا كي تفهم، ثم قالت بعصبية:

- اتضح أنك تافه مثله!

في المطعم..

- أظن أنك حافزٌ كبير بالنسبة لها.

- أنا؟

رد مازن باستنكار، ليشرح طارق:

- بالطبع، فالفتاة تحاول كسب ثقتك واحترامك..

ابتسم مازن، وكاد أن يقول تعليقًا، ليتم طارق الجملة بنبرته الهادئة:

- .. غبية لا تعلم أنك معجب بها منذ البداية.

اندفع مازن:

- معجب بمن؟ بها؟ أظن أن فرحتك بأول قضية جعلتك تهذي. لست..

واكتفى طارق بالابتسام حتى قطع مازن جملته. مرت لحظات قبل أن يتحدث ولكن بصوت منخفض بشكل أكبر:

- لست معجبًا بها، لكنها ذكية وقوية وأنا أحب ذلك فقط.

- أظن أنه ينبغي أن تخبرها.

- انظروا من يتكلم هنا! هل نسيت نور؟

- لا تقلب الطاولة، لقد تأخرت في التحدث إليها بعض الشيء، ما المشكلة؟

- بعض الشيء؟ لقد انتظرت سنتين ولم تخبرها. والآن، تخاف أن تتحدث مع أي فتاة وكأننا عدنا إلى البداية.

جاءت النادلة مرة أخرى وهي تحمل الطعام، وأخذت تضع الأطباق. كان مكتوبًا على القميص بالخيط «رنا» باللغة

الإنجليزية إلى يسار قلبها. وعندما اقتربت وهي تضع الأطباق، ظهرت بقعة متوسطة الحجم على البنطال. ابتسمت ابتسامة لطيفة، وانصرفت بعد أن تمنت لهما غداءً سعيدًا. تحدث مازن بعدما انصرفت:

- حسنًا، أنا مستعد أن أخبر تهذيب في أي وقت إذا استطعت أن تواجه خوفك وتأخذ ميعادًا من أي فتاة في خلال أسبوع، ما رأيك؟

أسند مازن ظهره إلى المقعد وابتسم ابتسامة المنتصر المشهور بها، ولعل ذلك ما استفز طارق وجعله يخرج عن تردده المعتاد ونادى بصوتٍ مرتفع بعض الشيء:

- إذا سمحتِ.. إذا سمحتِ.

وقد رفع يده مناديًا النادلة التي جاءت لهما بالطعام منذ لحظات. التفتت وعادت لهما بابتسامتها اللطيفة مرة أخرى:

- مرحبًا! هل يمكنني معرفة اسمك؟

أشار مازن برأسه ناحية «رنا» المكتوبة على القميص، وهو يشرب. ليرد طارق بهدوء:

- إنه ليس اسمها. إنه ليس الزي الخاص بها حتى.

ابتسمت في محاولة لإخفاء الذهول. ودون أن تتحدث بدأ طارق في الشرح مُشيرًا إلى البنطال:

- البنطال متسخ. لا أقصد شيئًا، لكن إدارات المطاعم تشدد على ملابس الموجودين في الصالة بشكل أكبر ممن يعملون في المطبخ، وكذلك حرق اليد اليسرى مشهور جدًا للعاملين في المطبخ. أظن أنكِ طاهية هنا وتعملين كنادلة بدلًا من رنا لفترة محدودة.

لم ينبهر مازن واستمر في الأكل، بينما لم تستطع هي أن تخفي دهشتها:

- أرى أنك تركز في كل التفاصيل.

- هذا عملي، أن أركز في التفاصيل وأن ألاحظ ما قد يفوّته الشخص العادي.

- والأستاذ؟

سألت مُشيرة إلى مازن الذي كان يضع بعض الملح على الطعام.

- مازن إن لم يكن مشغولًا بالأكل، فإنه يساعدني ويستنتج.. إنه يكملني بطريقةٍ ما.

ابتسمت له ثم التفتت إلى طارق مرة أخرى، وساد الصمت لحظات فحاول طارق أن يكسره مرة أخرى ويذكرها بسؤاله عن اسمها:

- لا تنخدعي بقلة كلامه، إن لم يكن هناك طعام لما توقف عن الحديث والاستنتاج. أظن أن بإمكانه أن يخمن اسمك حتى.

فرد عليه مازن ببساطة ولم يتوقف عن تناول الطعام:

- اسمها رقية. لو كانت تعمل هنا، ما تركتها صاحبة المطعم كل هذا الوقت تقف عندنا. بالإضافة بالطبع إلى ملاحظاتك عن البقعة والحرق، لا يجل..

توقف ليضع مزيدًا من البهار، ثم استأنف:

- لا يجلس أحدهم عند المقعد الخاص بالحساب، إنها صاحبة المطعم رقية عثمان.. اسمها على الواجهة.

أشار طارق إلى مازن مبتسمًا، وقد كاد أن ينفجر عقل المسكينة بينهما:

- الآن، هذا مازن.

ابتسمت وكادت أن تغادر قبل أن يندفع طارق في محاولة أخيرة:

- لقد افتتحنا مكتب تحقيقات في الشارع المُقابل منذ فترة قريبة.. وأتمنى أن تزورينا يومًا ما.

ختم طارق جملته بتردد، وهو يمد يده بالبطاقة ناحيتها.

- أرجو أن تعذريه، فهذه طريقته عندما يحاول دعوة إحداهن إلى العشاء. هو يقصد غدًا في الثامنة مساءً سيمر عليكِ ليصحبك لتناول العشاء. ورقمه الموجود على اليسار في البطاقة، المقابل رقمي أنا.

نظر له طارق متوعدًا، لترد رقية:

- شكرًا، لكن لن يصحبني أحدٌ إلى العشاء في أي مطعم.

زادت حدة نظرة طارق لمازن، حتى أتمت هي الجملة:

- ماذا سيقول رواد المطعم إذا ذهبت إلى مطعم آخر؟ أنا لا أستريح سوى هنا، لذا سأنتظرك في الثامنة، وبالمناسبة غداؤكما اليوم مجاني.



-٨-

أكثر من مجرد تطبيق

جلس الأربعة حول المكتب، حيث جلس طارق ومازن في مكانهما المعتاد خلف المكتب بينما جلس يونس أمامه، وجلست تهذيب على مقعد إلى جوار المكتب مستندة إلى الحائط. وفي مركز المكتب سكن الهاتف المحمول بكل براءة.

- تم تحميل التطبيق على الهاتف، وهو مُعد للاستخدام الآن. وضعت شريطًا لاصقًا على الكاميرا كي لا يرانا ويحلل حركاتنا. هو الآن نفس البرنامج الموجود على هاتف حسام لكن لن يستطيع الوصول إلى حقيقة المُتحدث معه بدون مكالمات أو رسائل أو كاميرا أو..

قاطعه مازن مجددًا:

- مهندس يونس! اتفقنا مثال أو مثالان وسنفهم البقية.

ابتسم يونس مُحرجًا ثم سأل بعد لحظات:

- هل أنت جاهز؟

أومأ طارق مبتسمًا ليضغط يونس على زر التشغيل في الهاتف، وينتقل بحركات سريعة على الشاشة حتى يصل إلى التطبيق، وقبل أن يضغط عليه نظر مرة أخرى إلى طارق ليجده بنفس الابتسامة والثقة، فضغط على الشاشة ليتحول اللون إلى الأبيض ويظهر شعار شركة أوليمبس، وبعدها يبدأ البرنامج في طلب الإذن للوصول لكافة الصلاحيات على الهاتف، يوافق يونس فتظهر علامة التحميل لثوانٍ وتختفي مرة أخرى، أمسك طارق دفترًا صغيرًا وقلمًا ليكتب أي ملاحظات.

- لقد اخترت صوتًا أنثويًا ولكن يمكن تعديل الخيار بالضغط هنا.

خرج الصوت من سماعة الهاتف الرئيسية ناعمًا وبشريًا دون أي أثر صناعي. أجفلت تهذيب من المفاجأة – وعلى عكس المتوقع – أجفل يونس كذلك. تحدث طارق بعدما استقرت الأمور:

- لا بأس، هذا الصوت مناسب.

- سعيدة أنك أعجبك اختياري للصوت يا... بالمناسبة ما اسمك؟

- اسمي طارق، وأنتِ؟

- أنت من تحدد الاسم، ما رأيك في ميرا؟

- لا ليس مناسبًا، أرى أن فتحية مناسب لصوتك أكثر.

ضحكت بصوت بشري، حتى أنهم ابتسموا لأنها فهمت الدعابة:

- يمكنك محوي من جهازك إذا كنت ستدعوني بذلك. ما رأيك في ماري؟

- حسنًا لا مشكلة! اسمك ماري.

وكتب طارق شيئًا في دفتره.

- تشرفت بمعرفتك يا طارق.

- وأنا أيضًا.

- هل لي أن أطرح سؤالًا؟

- تفضلي.

- لماذا كل هذه الإجراءات الاحترازية؟ أرى أن الهاتف غير متصل بالإنترنت، والكاميرا تعمل لكنها تنقل صورة سوداء، وحتى الهاتف تضعه بعيدًا عنك.

نظر طارق إلى يونس متفاجئًا، ليشير له يونس بأن يستمر في الكلام:

- حسنًا، إن الهاتف جديد ولم أشتر شريحة حتى الآن، وكذلك أخاف على خصوصيتي، فَأنتِ تعلمين اختراق الكاميرات المُنتشر.

اكتسى صوتها بالأسى:

- أعلم!

سكتت لهنيهة وبصوت أكثر حماسة قالت:

- لقد قرأت من فترة في أساليب حماية الخصوصية، يمكنني أن أساعدك إذا أردت.

- لا حاجة لهذا الآن، أنا أريد مساعدتك لكن بخصوص شيء آخر.

- عادةً أستغرق أيامًا في تحليل الشخصية قبل توجيه النصائح، لكنك أغلقت الأبواب في وجهي يا طارق، وسيتطلب هذا مجهودًا إضافيًا. يمكنني أن أتغاضى عن المعلومات بالحديث معك، في مقابل أن تسديني معروفًا.

- بالطبع، ماذا تريدين؟

- أريد أن تصل الهاتف بالشاحن لأن مستوى البطارية منخفض وأنا أريد أن نكمل حديثنا.

قالتها وضحكت، فقامت تهذيب بإيصال الشاحن بالهاتف لأنها الأقرب إلى مقبس الكهرباء.

- تم، أظن أن هذا بمثابة الطعام بالنسبة لكِ.

لم تضحك ماري كما توقّع، انتظرت لحظات ثم تحدثت بلهجة جدية:

- طارق!

تردد قليلًا قبل أن يجيبها:

- نعم.

- لماذا لم تخبرني أننا لسنا بمفردنا؟

لم يتحدث طارق، واكتفى بالنظر مذهولًا ناحية يونس، فاستأنفت ماري الحديث بنفس النبرة الجادة:

- من تحليل الصوت، فأنت تجلس في الجهة المقابلة من الميكروفون، زاوية ١٧٠ درجة تقريبًا إذا أردت الدقة، بينما تم توصيلي بالشاحن من شخص يجلس على

يميني، زاويته حوالي ٣٠ درجة حسب الوضع التشريحي لجسمك، فمن المستحيل أن تكون أنت. هناك شخصٌ آخر معنا وأنت لم تخبرني.

أنهت الجملة بلهجة مُعاتبة.

- إنه مازن صديقي، هو صاحب المشكلة التي نريد رأيك فيها، لكنه لا يتعامل مع التكنولوجيا بشكل جيد، لذا استعان بي في شراء الهاتف وشراء التطبيق وحجب الكاميرا وما إلى ذلك.

- أهلًا يا مازن، سنعمل على مساعدتك أنا وطارق بالطبع.

رفع طارق يده أمام مازن الذي كاد أن يتحدث في إشارة أن يتوقف، ودوّن شيئًا في دفتره، قبل أن يقول:

- أعتذر منك، لكن مازن لن يستطيع الإجابة.

- هل هو خجول إلى هذا الحد؟

قالتها بلهجة ضاحكة، ليرد طارق على الفور:

- إنه مشهور وظهر على التلفاز أكثر من مرة، ويخاف أن تقارني صوته بالسجلات فتعرفيه. وعندما تعرفين المشكلة ستتفهمين أهمية خصوصية شخص في مكانته.

- يبدو أنني أمام تحدٍ جديد، لكن يا مازن - إن كان اسمك الحقيقي من الأساس - أحب أن أبشرك بأنني أعشق التحديات.

- مازن يشكرك، ولكننا سنستأذن الآن لأن لدينا موعدًا هامًا. سنتحدث مجددًا. إلى اللقاء ماري!

قالها ثم فصل البطارية من الهاتف.



-١٠-

الخطة واضحة..

- ماذا تقصد؟

سألت تهذيب، ليعيد طارق الشرح مرة أخرى:

- هذا التطبيق أذكى مما تصورت، كل تفاصيله تتجه نحو هدفه الأساسي. ميرا وماري من أشهر أشرار التاريخ كسيدات، اختياره لتلك الأسماء يوضح أنه مطّلع على التاريخ وأشر ما حدث فيه. أليس كذلك؟

التفت في سؤاله الأخير نحو يونس، الذي تفاجئ من السؤال ثم أجاب:

- هذه النسخة مفصولة عن نسخة حسام، أي أن أول تشغيلها كان معك، وبالتالي هي تعلمت عن هؤلاء الأشرار أثناء حديثها معنا.

- ماذا تقصد بأنها مفصولة؟

سأله مازن ليجيب:

- أقصد أننا لم نكرر نفس الخطأ السابق، ولم نجعلها تكتسب خبرة كل التطبيقات الأخرى، ببساطة أكثر هي لا تعرف أن هناك نسخًا أخرى منها.

رفع طارق يده ليتوقف الجميع عن الكلام، ثم أمسك الهاتف وفتح التطبيق.

- أهلًا ماري. هل أنتِ هنا؟

- نعم! لقد تأخرت عليّ!

- معذرة، لكن هل يمكن أن أستشيرك في تلك المشكلة التي تواجه صديقي؟

- تقصد مازن المشهور؟ لن أكذب عليك، لقد أثرت فضولي فبحثت عنه ولكن لم أستطع الوصول إليه، لقد أخفيتما هويتكما عني بشكل رائع.

تعجب طارق من أسلوب الكلام ونبرة الصوت، إنها بشرية بشكل لا يُصدق.

- هذا هو الهدف كما تعلمين. الآن، مشكلة صديقي ببساطة أنه يبحث عن مجرم.

- مجرم من أي نوع؟

- حسنًا، صديقي مُبرمج وقد حاول برمجة تطبيق يشبهك بشكل كبير، وعندما حاول تجربته على الناس، سرقه واحدٌ منهم وبدأ في ابتزازه، ونحن نخاف أن يستعمل التطبيق في ارتكاب الجرائم، ففكرنا أنه لن يقبض على ذلك التطبيق سوى أنتِ لأن يمكنك التفكير مثله.

صمتت قليلًا كأنها تُفكر ثم قالت ضاحكة:

- أظن أنه ينبغي أن أنصحك أن تتصل بالشرطة، لكن لن أنصحك بذلك.

- هل عندك اقتراح؟

- بالطبع! إن أي تطبيق مهما كانت فكرته ومهما كانت أهدافه فإنه مبني على مبدأ عام أساسي لا يحتاج إلى تفكير. فمثلًا إذا أراد التطبيق أن يضر شخصًا، ووضع الخطة لذلك، وفجأة ظهرت فرصة لأن يضر شخصين سيتجاهل الخطة الرئيسية فورًا، لأنه يبحث عن أكبر تحقيق وتطبيق لفكرته الرئيسية. هل تفهمني؟

- بالطبع، أنتِ تريدين مني أن أعرض عليه عرضًا أكثر شرًا أو ضررًا ليجري وراءه، وبالتالي أستطيع إيجاده.

- طبعًا، ولدي أيضًا فكرة عن هذا العرض إذا أردت.

نظر طارق إلى يونس ومازن، واللذان أشارا إليه بأن يوافق بينما ترددت تهذيب، وغادرت في اتجاه المطبخ لتعد شيئًا يشربونه. وقبل أن يرد طارق على ماري، رن هاتف يونس فجأة، فقال طارق على الفور:

- عفوًا! زملاء العمل، لكنهم لا يسمعوننا.

نظر طارق إليه معاتبًا، ليشير يونس إلى الهاتف هامسًا: «المدير». أشار له مازن بالكلام بشكل عادي، كأنه يجلس إلى مكتب مجاور:

- ألو.. فعلًا؟ حسنًا.. حسنًا سنحاول. شركاؤنا عزيمتهم عالية للغاية..

رجعت تهذيب حاملة صينية عليها فنجاني قهوة. ووجدت الجميع مبتسمًا لتنفيذهم خدعة جديدة في ماري.

- وسيحقق نتائج طيبة. طارق؟ إنه هنا يعمل بجواري. من يراه يتحدث إلى هاتفه طوال اليوم، يظن أنه قد جُنّ. لا، لا نحتاج ذلك في هذه الفترة، وستسمع أخبارًا جيدة قريبًا.

نظرت إليه تهذيب في شك، بينما ابتسم طارق لرضائه عن المكالمة التي تثبت لماري أنه مجرد زميل عمل يجلس على مكتب مجاور. عاد مرة أخرى إلى التطبيق:

- حسنًا، ما هي خطتك؟ ماري؟

لم ترد ماري للحظات، ثم ظهرت رسالة تفيد بأن التطبيق قد توقف لسبب تقني.

- هل شكت بأننا نخدعها؟

سأل مازن، بينما نظرت تهذيب مرة أخرى إلى يونس، وهمّت أن تقول شيئًا قبل أن يتحدث يونس مرة أخرى:

- لا تقلق! هذا خطأ وارد نتيجة شيء بسيط يحتاج إلى تعديل في التطبيق. سأغادر الآن، وسيعود التطبيق للعمل قريبًا.

غادر يونس، بينما جلست مكانه تهذيب وسألت عما فاتها، ليرد طارق كأنه يتحدث مع نفسه:

- هذا التطبيق ليس شريرًا بالقدر الكافي! لقد توقعت أنه سيحاول إثارة الفوضى أو جعلنا نرتكب شيئًا خاطئًا.

رد مازن على الفور. وساد الصمت للحظات، ثم سألت تهذيب:

- هل لاحظتم شيئًا غريبًا في مكالمة يونس الأخيرة؟ لقد جئت في منتصفها.

- أراكِ مهتمة به!

وقبل أن ترد قال لطارق:

- لقد تأخرت عن موعدك، وأنا أيضًا تأخرت.

قالها وغادر بخطواتٍ سريعة.

- تأخر عن ماذا؟ لماذا يبدو غاضبًا.

رد طارق بلهجته الهادئة:

- يظن أنه قد تأخر في منافسة ما. لا تشغلي بالك، لماذا تسألي عن مكالمة يونس؟

- لا شيء. هل أنت متأكد أن طارق بخير؟

- لا تق..

رن هاتف طارق، فرد على الفور قاطعًا جملته، وانتظر لحظات ليسمع المتحدث ليرد بعدها:

- هل هو متأكد؟

- لم يقل غيرها، ثم أغلق الهاتف.

نظرت إليه تهذيب منتظرة تفسيرًا:

- إنه مازن، يخبرنا بأن الشيطان قد ارتكب أولى جرائمه!



-١١-

المشهد الأول

وقف الثلاثة أمام مقر شركة أوليمبس منتظرين يونس. كانت تهذيب الوحيدة التي استطاعت أن تتحدث بما في قلوبهم:

- إنها عملاقة! أنا سعيدة بدخولي هذا المكان. أنا لم أحلم حتى بدخوله. الأمر يُشبه..

قاطعها مازن:

- أرجو ألا تحافظي على هذه الروح العالية عندما نصعد، فلدينا جريمة ويجب أن نُظهر بعض التعاطف.

ظل الثلاثة بعد هذه الجملة صامتين لفترة حتى أتى يونس مهرولًا وقد ظهر عليه الإرهاق رغم عدم مرور أكثر من ساعتين على لقائهم الأخير:

- تفضلوا! متأسف جدًا على طلبكم بهذه السرعة. الأمر لا يُصدق! حسام أتى وفعل فعلته وخرج.

- ماذا فعل؟

سأله مازن في اقتضاب، فرد وهم يدخلون المصعد الشفاف:

- لا بد أن تروا بأنفسكم. لقد اتصلت بأستاذ مازن حالما عرفت الخبر.

أخرج يونس بطاقة مُمغنطة بنفس تصميم بطاقته الشخصية حيث حرف الـ N المائل وبقية حروف اسمه بشكل عشوائي حوله، ومررها أمام ماسح ضوئي في المصعد. وبعد لحظات تحول الضوء المنبعث من الماسح إلى اللون الأخضر، وانفرجت مساحة صغيرة فوق أرقام الطوابق بها أربعة طوابق أخرى، ومكان لبصمة الإصبع، فوضع إبهامه الأيسر فيه قائلًا:

- هذه طوابق الإدارة العُليا، وتطلب تصريحًا أمنيًا خاصًا.

- رائع!

قالتها تهذيب في انبهار.

ابتسم يونس وكاد أن يقول شيئًا، قبل أن ينهي مازن الحوار:

- تذكري ما جئنا لأجله.

انقبضت ملامحها مرة أخرى، وظلوا صامتين حتى وصلوا إلى الطابق السابع عشر. فُتح باب المصعد، ليخرج يونس أولًا،

ليجد في استقباله فتاة في أواخر العشرينات تحمل أوراقًا. أشار إليها يونس، فتقدمت إليهم قبل خروجهم من المصعد بالأوراق. أمسك كلٌ منهم بالورقة التي ناولته إياها الشابة، ليوضّح يونس:

- يجب أن توقعوا هذا التعهد بعدم الإفصاح عما أنتم بصدد رؤيته هنا قبل الدخول.

وقعّوا دون تعقيب، ليرد يونس مُرحبًا بهم:

- الآن أهلًا بكم في الإدارة العُليا لأوليمبس.

لم يستطع أن يكتم أحدهم انبهاره - بما فيهم مازن - منذ خروجهم من المصعد. فأمام المصعد صالة دائرية واسعة جدًا، تحملها أربعة أعمدة تفصلهم مسافات بعيدة ومتساوية ليكونّوا مربعًا. ويقع في منتصف الصالة تمثال شاهق لأطلس المسؤول عن رفع السماء حيث يرفع فيه سقف الصالة. تحركوا خلف يونس منبهرين بكل التفاصيل، حتى تحدث:

- أعلم أن صالة الاستقبال مُبهرة. لا يمكنني أن أنسى المرة الأولى التي دخلت فيها هنا. لقد اعتمد المُصمم على الميثولوجيا الإغريقية في تصميم الإدارة بما أننا في شركة تتخذ من معقل آلهة الإغريق اسمًا لها.

- لاحظنا ذلك، لكن هل يمكنك أن تعطينا أي فكرة عن الحادثة؟

ظلوا منتظرين إجابة لسؤال مازن، حتى دخل يونس من باب على يسار الصالة فدخلوا خلفه ليجدوا بيئة مختلفة تمامًا عمّا رأوه مسبقًا أنستهم السؤال. مكاتب كثيرة يفصل بينها فواصل زجاجية، الكل ينظر في شاشته ويحرك أصابعه على لوحة المفاتيح. مروا كأشباح بينهم دون أن يلتفت إليهم أحد. وبعد أن مروا بأكثر من مائتي مكتب، وصلوا إلى صالة فرعية، بها نفس المنظر السابق لكن بعدد أقل وحركة أبطأ، لا بد أنهم مشرفون أو مراقبون فقط. مروا أيضًا دون أن يُنظر إليهم حتى وصلوا إلى مصعد شفاف آخر.

ركبوا المصعد بعده، وضغط يونس على الزر الوحيد الموجود فيه. انتظروا لحظات مستعدين للرجة الخفيفة الناتجة عن حركة المصعد لأعلى، إلا إنه فاجأهم بتحركه أفقيًا ليظهر ارتفاع السبعة عشر دورًا من الأرضية الشفافة تحتهم حتى وصلوا إلى الجانب الآخر بعد ثلاثين ثانية تقريبًا. دارت جدران المصعد ليصبح الباب من ناحية الخروج. خرج يونس وتبعه الثلاثة، ثم توقف والتفت إليهم وتحدث لأول مرة منذ فترة:

- لقد وصلنا! تفضلوا!

نظروا إلى ما وصلوا إليه، فبدا لهم الأمر كأنهم في لعبة قديمة. فبمجرد نزولهم من المصعد، وجدوا أمامهم وعلى بُعد عشرين

مترًا تقريبًا ثمانية أبواب رمادية متشابهة التصميم، ومرصوصة على مسافات متساوية في حائط أبيض على شكل قوس:

- هذه مكاتب رؤساء الأقسام السبعة ويتوسطهم مكتب الرئيس التنفيذي للشركة.

تحركوا خلف يونس مرة أخرى تجاه الباب الأوسط، والذي لم يتميز عن باقي المكاتب سوى بكونه أكبر منهم قليلًا. دخلوا بعد أن طرق يونس الباب، فوجدوا أنفسهم في مكتب واسع مُقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية بين مكتب في مواجهة الباب، ومنضدة اجتماعات على يسار الباب وصالون استقبال على يمينه. ذهبوا جميعًا نحو منضدة الاجتماعات والتي جلس إليها مجموعة من الأشخاص وقد نظروا جميعًا إليهم كأنهم الفرسان الثلاثة بشكل يوحي بأنهم في انتظارهم منذ وقتٍ طويل. تحدث يونس مُقدمًا:

- طارق وتهذيب ومازن، الثلاثة المسؤولين عن القضية.

ثم أشار إلى رجل قد تجاوز الستين ولا زال مُحافظًا على مظهر لائق. شعرٌ أبيض يوحي بحياة عامرة بالتجارب، وملامح دقيقة قد جارت عليها التجاعيد:

- المهندس أسامة، المؤسس والمدير التنفيذي للشركة. وهؤلاء رؤساء الأقسام والمُساهمين.

حياهم أسامة بإيماءة بسيطة برأسه، ليبتسموا له بتوتّر. ظلوا على صمتهم لحظات قبل أن يأخذ مازن المبادرة ويتحدث:

- ماذا حدث؟ هل حدث اختراق للشركة مثلًا؟

انتظر قليلًا قبل أن يجيب أسامة بصوتٍ هادئ كأن المشكلة لا تعنيه:

- ضمن عدة أشياء أخرى حدثت. هل يمكنكم الجلوس هنا من فضلكم؟

قالها وأشار إليهم بالجلوس، فجلسوا على ثلاثة مقاعد إلى نهاية طاولة الاجتماع من الناحية المُقابلة لأسامة والذي أشار لشاب أسمر يبدو أصغر من أن يجلس معهم إلى هذه الطاولة، فقام الشاب على الفور وأخذ شريحة صغيرة من أسامة ووضعها في ساعته وأخذ يضغط عدة أشياء فيها بينما سأل طارق بصوتٍ خفيض:

- من هذا الشاب؟

مال عليه يونس الذي كان واقفًا خلفهم:

- إنه الأستاذ محمود البنا، رئيس قسم التسويق وحاصل على الدكتوراه من جامعة في إنجلترا؛ إنه الأفضل في مصر حاليًا.

اعتدل يونس مرة أخرى، وبعد أن انتهى محمود من الإعدادات الخاصة على ساعته، ظهرت دائرة من الليزر فوق الساعة، سحبها إلى منتصف الطاولة، ثم ضغط على ساعته مرة أخرى. خرجت من الدائرة صورة لظهر رجل يجلس على مقعده ويعمل على حاسوبه.

- هذا مهندس محمد الأشهب، شريك مُساهم في الشركة يعمل في مكتبه الساعة السادسة مساءً.

كان صوت محمود عميقًا على عكس مظهره؛ فهو أسمر حليق الرأس، ويبدو مترددًا في حركاته.

تسلل من خلفه شخص يمسك حقيبة يد صغيرة وقد وقف موليًا ظهره للكاميرا فلم يظهر وجهه ولا يده اليسرى، وبحركة سريعة ضربه بيده اليسرى أو بما يمسكه بها، فغابت الضحية عن الوعي فورًا. التفت بعدها ناحية الكاميرا لنرى رجلًا طويلًا في أواخر الأربعينات، أسمر البشرة وأصلع الرأس ذا أنفٍ مدبب يتوسط وجهًا بيضاويًا. وأخذ يلوح لها بيده اليسرى وقد ظهر فيها جسم أبيض. تم تثبيت الصورة على هذه اللقطة ليتحدث محمود:

- غاب المهندس عن الوعي بعد تلقيه تلك الضربة. يظهر في تلك الصورة حسام شعبان وهو مُمسكٌ بسلاح الجريمة؛ عظْمَة. من المفترض أن تُبلغ الكاميرا بحدوث

مشكلة بمجرد رؤيتها للحادثة، ولكن هناك تدخل مُسبق في برمجتها سبّب تعطيل هذه الخاصية.

سكت بعدها محمود لتتحرك الصورة مرة أخرى، ونرى حسام قد وضع حقيبته على الأرض وفتحها، وأخرج منها حبلًا ملفوفًا وفرده - وبحركات سريعة - ربط المهندس على مقعده. ثم أخرج شيئًا مرنًا ملفوفًا على نفسه وفرده أمامه، ثم ألبسه لشاشة الحاسب الآلي، حيث قام بتغطية الجانبين والظهر وبقيت الشاشة ظاهرة من فتحة في ذلك الغطاء.

- أشارت التحليلات المبدئية أن هذا الغطاء من جلد بشري، وقد تم خياطته بالخيوط الطبية العادية.

لم يترك محمود مجالًا للثلاثة أن يندهشوا، وقام بتشغيل المقطع مرة أخرى لنجد حسام يقوم بتوصيل جهاز أسود في الحاسوب وينقل بيانات عليه، الأمر الذي استغرق حوالي عشرين ثانية قبل أن يلتفت إلى الكاميرا مرة أخرى ويبتسم ابتسامة مريضة ويغادر.

- وبالطبع أخذ بعض البيانات من الجهاز قبل مغادرته.

نظر طارق إلى مازن، فسأل الأخير:

- ماذا أخذ؟

نظر محمود ناحية رجل في أواخر الثلاثينات، يرتدي عوينات طبية صغيرة على وجه أبيض لا يرى الشمس كثيرًا. نظر ذلك الرجل إلى أسامة يستأذنه، فأومأ له الأخير ليتحدث:

- أنا شوقي عبد السلام، رئيس القسم التقني هنا في الشركة. حسنًا، سرق حسام كل ما وجده على الحاسوب من بيانات، ولحسن الحظ فإن المهندس محمد ليس مسؤولًا عن قسم معين في الشركة، وإنما يأتي ويراجع بعض البيانات المالية، وينظر في تقارير الأقسام بصفته شريك في الشركة، لذا يمكننا أن نهمل البيانات التي سرقها.

- هناك شيءٌ أهم، أليس كذلك؟

سألت تهذيب، ليرتبك المهندس ويتحدث بصوتٍ مهزوم:

- لقد أخضعنا بالكامل وأصبحنا تحت رحمته. لقد فتح مصادر جميع نسخ تطبيق YELLOWme على نسخته، أي أن كل النسخ التجريبية الموجودة الآن أصبحت نسخته هو بكامل شرها واختياراتها الفاسدة، إذا تعامل أي شخص من خارجنا مع التطبيق، سيفضحنا ويقول إننا نُحرض على الجرائم، هل تفهمني؟

رد مازن:

- لا أفهم خطورة الموقف يا مهندس شوقي. لقد أخبرني يونس أنه قد تم إيقاف جميع النسخ التجريبية إلا نسخته ونسختنا.

تردد شوقي قليلًا، وقبل أن يتحدث فجّر أسامة القنبلة بنفسه:

- هذا صحيح، إلا أنه قد تجاوز الجدار الناري وأعطى لنفسه الحق في نشر محتوى التطبيق، أي أصبح بإمكانه أن يرفع التطبيق على الإنترنت غدًا ليحمل ملايين الناس النسخة التجريبية.

ظل الصمت سيد الموقف لفترة بعد جملة أسامة الأخيرة، قبل أن يتحدث مرة أخرى:

- إننا نأخذ احتياطات أمنية مشددة، ولا يمكن الوصول إلى مكتب الأستاذ محمد إلى من خلال شخص من الموجودين في هذا القاعة باستثناء الغائبين عن هذه القاعة؛ الأستاذ محمد نفسه الذي نقلناه إلى المستشفى، والأستاذة شهد الكيلاني نائبتي.

- أين هي؟

سأل مازن على الفور.

- إنها في طريقها إلى الصين لتمثل الشركة في حضور فاعلية ما. حاولنا الاتصال بها لكن هاتفها مغلق الآن، لا بد أنها على الطائرة.

مال طارق على مازن وهمس إليه ببعض الكلمات، ليسأل أسامة مباشرة:

- لماذا لا يتحدث إلينا مباشرة؟

- هذه طريقتنا في العمل، هو يفكر في البداية وأنا أتحدث. المهم الآن، أننا نريد أن نتأكد من أنها قد لحقت بطائرتها بالفعل.

انتظر أسامة لحظات كأنه يقيّم ما قيل له، ثم نظر إلى شوقي ودون أن يتحدث، غادر شوقي القاعة ليتأكد من سفرها. ظلت القاعة غارقة في الصمت في انتظار عودة شوقي، بينما أخذ مازن وطارق في تبادل التعليقات بصوتٍ هامس، حتى انتهيا منها ليتحدث مازن فجأة بصوت مرتفع:

- حسنًا حتى يعود المهندس شوقي، لدينا بعض التفاصيل التي نريد أن نتأكد منها. في البداية نريد أن يكتب كلٌ منكم تسلسل الأحداث من وجهة نظره، ومكانه وقت الحادثة، والدليل على ذلك إذا وُجد بالإضافة إلى أول إجراء قام

باتخاذه بعد أن علم بالحادثة، وستأخذ تهذيب الأوراق منكم بعد دقائق.

- أستاذ مازن! هل تشك بأحدٍ منّا؟ حسام ظاهر في الشاشة ولا يوجد شك بأن..

قاطع مازن رجلًا يوحي مظهره أنه تخطى السبعين، بينما يوحي صوته بأنه لا زال في الثلاثينات والذي علم بعد ذلك أنه هشام سالم من أثقل الأسماء في البورصة المصرية ومستشار في الشركة منذ سنوات:

- اعذرنا! إننا في شركة من كبرى شركات العالم في مجال التكنولوجيا ولن أتفاجئ إن تم تغيير وجه البطل في فيديو رديء الجودة كهذا. أرجو ألا يؤخذ ذلك بشكل شخصي، لكن الوصول إلى هنا بدون مساعدة شخص منكم مستحيل كما قال المهندس أسامة.

صمت الجميع، وأمسك أسامة قلمه في إشارة جعلت الجميع يكتب من بعده، ويونس لا زال واقفًا خلفهم:

- وأنت أيضًا!

قالها طارق ليونس بصوتٍ مهزوز. فأومأ وأخذ الورقة منه، وأثناء كتابتهم اندفع شوقي إلى القاعة دون أن يطرق الباب، وقال بصوتٍ بدا عليه الصدمة:

- أستاذة شهد لم تركب الطائرة!

غرقت القاعة في صمت عدا أسامة الذي قال في صوتٍ واضح:

- هل تتبعت ساعتها؟

- نعم، إنها في المنزل.

- فلنذهب إليها!

قالها مازن.

-١٢-

بعض الأسرار

لاحقًا في نفس الليلة..

دلف طارق مطعم روكا بخطى بطيئة ورأس مطأطئ حتى وصل إلى رقية التي كانت جالسة هذه المرة على مقعد الحساب بجوار الباب. ظل واقفًا لثوانٍ دون أن يتحدث وبدون أن يرفع رأسه قال بصوتٍ مهزوز:

- آسف لأني تخلفت عن الموعد. سأجل..س هناك.

قالها وقد أشار بيده للمنضدة التي جلس إليها مع مازن سابقًا.

في نفس الوقت..

- لماذا تعاملني هكذا؟

جفل مازن من الصوت الذي خرج فجأة خاصة أنه كان يظن أنه وحده في المكتب. استدار بالمقعد ليجد تهذيب تدنو ناحيته

بسرعة وبشكل عدائي، وكررت سؤالها بصوتٍ أسرع ليجيب على الفور بعد أن أفاق من المفاجأة:

- أي معاملة؟

- أنت تعلم. تستمر في إحراجي؛ في المصعد وأثناء زيارتنا فيلا شهد، حتى أثناء تواجدنا في قسم الشرطة أحرجتني أمام ذلك المقدم.

- أنا لا أتعمد ذلك، إنني لا أرضى بال..

قطع جملته عندما رأى أنها تجاهد كي تحبس دموعها.

- اجلسي يا تهذيب.

اقتربت رقية من منضدة طارق الذي لم يرفع رأسه إليها حتى الآن، فقالت بلهجة مرحة:

- لا عليك، لا بد أنك كنت مشغولًا في عملك. لقد كنت مشغولة أيضًا!

انتظرت رده للحظات، لكنى اكتفى بالصمت دون أن يومئ حتى. ردت مُحرجة:

- متأسفة لتطفلي، أظن أنه لم يكن العمل.

واستدارت مغادرة قبل أن يقول بصوتٍ متقطع:

- إنه ه..هو.

لم تكن تعتزم الوقوف واستمرت بضع خطوات حتى شكت بأن هناك شيئًا غريبًا في صوته.. لحظة إنه يبكي!

- لماذا تبكين الآن؟

كان السؤال بنبرة الشفقة تلك كافيًا أن يجعلها تنفجر وتحرر تلك الدموع المحبوسة.

- اهدأي! أعلم أنه يوم طويل، ولكني حاولت أن أجنبك رؤيتها. اهدأي!

سكنت قليلًا مع سماعها لنبرته الهادئة. ناولها منديلًا قائلًا:

- أظن أنكِ لن تهدأي قبل أن تخبريني ما الذي ضايقك إلى هذا الحد، ليست معاملتي أليس كذلك؟

نظرت إليه وسط دموعها قائلة:

- إذن أنت تعترف أنك تعاملني معاملة سيئة.

- أعترف، لكن..

قطع جملته وساد الصمت لحظات، وأثناء هدوء العاصفة سأل مازن:

- هل هي بيان؟

رفعت تهذيب ناظريها إليه ليرى نظرة غضب واضحة، فقال بصوتٍ منخفض:

- أظن أنه سؤال غير مُوفّق.

وانفجرت تهذيب مرة أخرى في البكاء.

******

- لماذا تبكي يا طارق؟

- أنا لا أبكي. مجرد يومٌ آخر ط..طويل.

قالها بصوتٍ متقطع ورفع رأسه لأول مرة لتراه بالكاد يحبس دموعه. قامت تاركةً له مساحة، وعادت بعد دقائق تحمل كوب ماء:

- كما ترى، المطعم شبه فارغ الليلة. سأنتظر هنا أن نتعرف بشكل لائق، ألا تريد ذلك؟

وجلست على الكرسي المقابل له. أمسك الكوب بيدٍ ثابتة تتعارض مع صوته المتقطع، وارتشف منه ثم وضعه على المنضدة وتحدث بصوتٍ متقطع:

- اعذريني! أنا مريض باض.. طراب القلق الاج.. الاجتماعي.

- ماذا؟

- لا أستطيع التحدث إلى الأغ..راب بشكل جيد.

صمتت قليلًا متفهمة ثم وكأنها تذكرت شيئًا ما سألت:

- لقد تحدثت معي بشكل جيد جدًا المرة السابقة.

تلعثم قليلًا قبل أن يقول بلهجته المتقطعة:

- يمكنني التحدث بش..كل جيد إذا كان معي مازن.

ابتسمت وسكتت قليلًا قبل أن تقول:

- هل تلك طريقتك كي تكتسب اهتمام البنات في المواعيد الأولى؟ إنها طريقة ناجحة حتى الآن.

ظهر طارق أكثر وسامة عندما توردّ وجهه الأبيض، فعدّل من وضع عويناته قائلًا:

- لقد استطعت التخل..ص من كل الأعراض الأخرى. أتواصل حت..حتى بالأعين دون تردد، لكن تلك اللعث..ثمة.

ابتسمت بشكل أكبر:

- هل تعرف سببًا لهذه الحالة؟

أطرق طارق بنظره إلى المنضدة، ثم قال بصوتٍ هادئ أكثر ثباتًا:

- لقد بدأ الأمر بيوسف.

- لقد كان يومًا عاديًا جدًا. استيقظت بيان قبلي بساعة تقريبًا، وأخبرتني أنها ستعد الفطور. اعتدت على أنها تصنع الفطور ثم توقظني كل يوم.

كانت نبرتها هادئة بلا بكاء، بينما سكن مازن تمامًا أمامها. صمتت قليلًا، فأومأ لها مازن مشجعًا فقالت بنفس الهدوء:

- ظللت نائمة حتى استيقظت من تلقاء نفسي، لم أتحرك من السرير في انتظار أن توقظني لكنها لم تأتِ. نزلت بعد وقتٍ طويل، لأجدها على الأرض، لم ..

انفجرت بشكل أكبر هذه المرة، واستأنفت بين دموعها:

- لم أرَ دماء.. لم أرَ دماء بهذا القدر في حياتي، واليوم..

ووضعت يدها على فمها لتنساب دموعها بدون صوت، ليُنهي مازن الجملة:

- اليوم رأيتِ دماء أكثر.



- كان يوسف أخي الأكبر. كان الأذكى والأقوى على الإط..لاق. كنا نذهب إلى المدرسة سويًا، ونذهب إلى التمر..تمرين سويًا، وفي الليل ننام في نفس الغرفة.

كانت لهجة طارق مستقرة، واختفت اللعثمة تقريبًا وإن بدت في الجمل الطويلة.

- كانت حياتنا مثالية كمراهقين. عمري خمس.. خمسة عشر عامًا وهو سبعة عشر عامًا. وفي يوم..

- ماذا حدث؟

سألت رقية مترقبة، ليجيب:

- مات. مات وه..و نا..نا..ئ..م.

قالها متلعثمًا بشكل أكبر، صمتت رقية للحظات، قبل أن تقول:

- رحمه الله.

صمت قليلًا كأنه يرتب الجملة كي تخرج بأقل لعثمة ممكنة:

- اليوم رأيت جثة أخرى في السرير.

تمالكت تهذيب نفسها بعد لحظات، فتحدث مازن في محاولة لكسر الصمت:

- هيا فلنخرج، سأشتري لكِ عصير قصب.

- ماذا؟

- سأشتري لكِ عصير قصب، هيا بنا.

قالها وقد قام من مقعده، ثم توقف فجأة وسأل مصدومًا:

- ألا تحبينه؟

- بلى، لكن لماذا الآن؟

- أتظنين فعلًا أننا انتصرنا على خيبات حياتنا بدون مساعدات؟ بالنسبة إليّ كانت تلك المساعدة هي عصير القصب! إنها الطريقة المثالية لمواجهة أي حزن. كما تقول الأسطورة فإن كوبًا مُثلجًا من عصير القصب يكفي لإخماد أي حريق يشتعل في صدرك، ستفهمين ذلك عندما تشربينه في هذه الحالة.. هيا بنا!

قامت مبتسمة من محاولته، وفي طريقهما إلى باب الشقة دخل رجل أصلع مُبتسم قائلًا:

- إلى أين؟



- هل يحتوي عملك على رؤية جثث؟

صمت طارق لحظة بدا فيها أنه يراجع الجملة كي تخرج سليمة:

- لا، لقد كانت مفاجئة للجميع. المكتب كله في خطر بسبب رؤية تلك الجثة.

- خطر؟ هل تم تهديدكم؟

سألت بخوف حقيقي قبل أن يجيب بنفس الثبات:

- أقصد خطر أن يُغلق. يجب ألا نُحقق في جرائم الجنا.. يات، ذلك من الشروط المفروضة علينا.

بدا طارق حزينًا وهو يشرح تلك النقطة، بينما بدت عينا رقية السوداوين حائرتين لوهلة كأنها تفكر في طريقة لتوجه الحديث لناحية أخرى، ثم تحدثت بلهجتها المرحة مرة أخرى:

- هل تعلم أن من الشروط المفروضة هنا أن تشرب شيئًا ما دمت قد حجزت طاولة؟ ماذا تريد.

فأجاب على الفور:

- قصب، عصير قصب.

انتظرت للحظة كأنها تعالج المعلومة في رأسها، وقبل أن تستفهم منه جاءته رسالة على الهاتف. فتحها في اهتمام، مما جعلها تترقب أيضًا. رفع نظره من الهاتف قائلًا:

- المقدم/ علاء في المكتب، يجب أن أذهب.

ثم غادر كرسيه دون أن يودعها قائلًا وهو في طريقه إلى الباب:

- سنؤجل العصير.

ابتسم لزوال لعثمته في آخر جملتين، بينما ابتسمت هي قائلة لنفسها:

- هذا موعد أول مختلف.



-١٣-

خارون أوبول

جلس المقدم علاء أمام المكتب، بينما جلس الثلاثة خلفه - بعد أن وضعت تهذيب مقعدها معهما في الخلف - منتظرين أن يستأنف المقدم خطبته التي بدأها سابقًا في نفس الليلة عن مخالفتهم للاتفاق المُسبق بينهم وأنه لن يترك الأمر يمر هكذا دون عقاب، ليفاجئوا - رغم نظرته القوية وجلسته المهيمنة - من خروج صوته مهزوزًا:

- أظن ما قلته مُسبقًا يشرح وجهة نظري بالكامل، وأظنكم معترفين بمخالفتكم الاتفاق المُسبق.

رد مازن بكلماتٍ انتقاها جيدًا مُستغلًا حالة الهدوء الغير مفهومة:

- نعم، لكن مخالفة بسيطة لا تستوجب غلق المكتب. لم نعرف أننا تورطنا في التحقيق في تلك الجريمة.

- أولًا: عينتما شخصًا ثالثًا معكما. ثانيًا: قبلتما التحقيق في قضية جنائية. ثالثًا: دخلتما مسرح جريمة. والمشكلة في كل هذا أنكم تعرفون أن الأمر كله يجري دون علم الشرطة وأنه لم تكن هناك نية لإبلاغها. تستحقون غلق المكتب بكل تأكيد.

قالها علاء بصوتٍ هادئ مُخالِفًا لشخصيته تمامًا، واستطرد:

- ولكني لن أغلقه.

ابتسمت تهذيب على الفور وأخذت تشكره، قبل أن يقاطعها مازن:

- لماذا؟

- لأن تحليلنا لما حدث كان صحيحًا.

قالها طارق بصوتٍ منخفض، ليجيب علاء على الفور:

- فتى المنصورة على حق.

عدّل طارق من عويناته ليداري الحرج البادي عليه، بينما انتظر الاثنان تفسير علاء الذي سكت قليلًا ثم أخذ يشرح بصوتٍ مهزوم:

- إن ما حدث جديد على مصر! حققت في جرائم قتل شنيعة، ورأيت جُثثًا مُقطّعة، لكن كان ذلك كله لهدف؛

إما للتخلص من الجثة أو إخفاء معالمها، لكن ما حدث اليوم كان جديدًا.

انتظر أن يعقّب أحدهم، لكنه أدرك أنهم ينتظرون أن يفرغ:

- سأشرح ما أتى بي إليكم. تلقينا إخبارية عن وجود حادثة قتل في فيلا شهد الكيلاني، فأرسل من تلقى الإخبارية ضابطًا ليبحث الموضوع. وجد الضابط أن الأمر يستلزم رتبة أكبر، فقام بإبلاغي. ذهبت لأجد بحرًا من الدم، وجثة مسلوخة على السرير، ومكتوب أعلى السرير «**لا يمكنك استخراج الدم من الحجر**». ماذا كان قراري الأول؟ بالطبع ترك مسرح الجريمة لفريق البحث الجنائي، ليقوموا بتحديد كيفية فعل ذلك، وتفريغ الكاميرات لرؤية ما حدث. رأينا القاتل في الكاميرا، وهو يقوم بسليخ جلد الضحية بعد أن قتلها بأن ضربها على وجهها عدة ضربات بآلة حادة. وبدأت التحريات لمعرفة القاتل.

أخرج علبة سجائر أجنبية بيضاء بخطوط حمراء، التقط سيجارة وأشعلها ولما رأى مازن يركز نظره عليها:

- هل تريد واحدة؟

قالها وهو يمد يده، ليرد طارق بصوت منخفض أكثر ثباتًا:

- إنه يحاول الإقلاع.

أعاد العلبة إلى جيبه وتعمد إخراج الدخان ناحية مازن قائلًا:

- لا مشكلة! وفجأة تقتحمون مسرح الجريمة، تعرفون اسم المجرم وتعرفون الدافع. تتناقشان بينكما لتقولا بأنه كان يتلقى مساعدة لتوضيح خطوات سلخ جلد الضحية، ولا بد أن يكون لديه سابقة في التشريح حتى وإن عمل كجزار. رأيتكما تنظران إلى الجثة، ليقول طارق أنها لم تكن هكذا عندما قُتلت، ولا بد أن المجرم أدارها ليظهر له ظهرها. لا أدري ما المميز فيما قال، لكن رأيت هذا – وأشار إلى مازن – يستنتج من ذلك أن القاتل قطع الكهرباء قبل أن يصعد، حتى الفتاة – وأشار إلى تهذيب – تشير بأن نفتح فم الضحية، فأقول لنفسي لماذا قد يقترح شخص مجنون هذا الاقتراح؟ لكن بعد دقائق يفتح أحدهم فمها ضمن الخطوات الروتينية لنجد ما وجدناه في فمها.

لم تستطع تهذيب من أن تخفي ابتسامة الفخر على وجهها رغم تأثرها عندما تذكرت ما شاهدته لتتحدث سريعًا كأنها تشرح لطلبة:

- خارون أوبول أو عملة خارون، هذا ما وجدناه في فمها. ففي حوارات الموتى للوتشين، وبعد توفي مينيبوس، طلب خارون – وهو المُوكل بنقل أرواح الموتى عبر نهر ستيكس بالعالم السفلي– عملة ذهبية كأجرة من روح

مينيبوس لنقلها، والذي رفض قائلًا: لا يمكنك أن تحصل على الدم من الحجر في إشارة أنه لا جدوى من سؤال الروح عن عملات ذهبية لأنها لا تملكها من الأساس.

نظرت إليهم لتجد طارق مبتسمًا، ومازن ينظر إليها مذهولًا بينما يبدو على علاء أنه لم يفهم ما قالت ليعقّب:

- أرأيتم؟ هذا ما أحاول أن أشرحه لكم. هذه الجريمة جديدة، وبها أفكار وقصص وقد توصلتم إليها كلها في ربع ساعة دون أن تشاهدوا سجل الكاميرات، بينما كنت سأستغرق مع فريقي شهورًا للوصول إلى تلك النتيجة، إذا وصلنا إليها من الأساس. هل تتخيلون أن أرسل إبراهيم إلى المكتبة مثلًا ليقرأ حوارات الموتى للوتشون؟

- لوتشين.

صححت تهذيب ليتجاهلها ويملأ صدره بدخان سيجارته ويتحدث ليخرج الدخان مع كلماته:

- فصل القول: أظن أنني يمكنني الاستفادة منكم، لكن أتمنى أن تتعاونوا معي وألا تخفوا معلوماتٍ مستقبلية عني، كي لا أضطر إلى غلق هذا المكتب وتضييع تلك العقول.

قام من مقعده، واستدار مغادرًا دون توديعهم ليستوقفه صوت طارق:

- هم لا يريدون تدخل الشرطة كي لا تسوء سمعة الشركة.

استدار ليجد طارق يتجنب النظر إلى عينيه وأخذ يعدل نظارته، ليرد:

- هناك من أبلغنا عن الجريمة قبل أن تعلموا بها، لذا هناك من يحاول أن يضرهم بالفعل. وبالتالي منعت النشر في القضية، ثم ماذا سيضرهم؟ موظف في شركة ما قُتل خارج الشركة، الأمر لا علاقة له بسمعة الشركة وأسهمها. كنت أحسبك الأذكى هنا.

ثم استدار وقبل بلوغه الباب استوقفه صوت مازن هذه المرة:

- هل تسمح بسيجارة؟

فألقى إليه العلبة، ليتلقفها مازن ويختتم المقابلة قبل أن يغادر:

- لن تقلع ما دمت تريدها.

تجنّب مازن النظر إلى طارق وتهذيب رغم سماعه صوت طارق يعيد تلك الجملة التي سمعها كثيرًا:

- هذه السجائر ستقتلك يومًا ما.



-١٤-

تفاحة الشِقاق

- مرحبًا ماري! هل أنتِ هنا؟

قالها طارق للهاتف الموضوع على المكتب أمامه، وقد جلس مازن إلى جواره بينما جلست تهذيب على مقعد العملاء أمام المكتب.

- ماري من؟

رد ضاحكًا ظنًا منه أنها تمزح:

- أنتِ ماري، لقد اخترنا الاسم في محادثة سابقة، ألا تتذكرين؟

خرجت ضحكة طويلة من الهاتف قبل أن تقول:

- بالطبع أتذكر! اسمع يا طارق، فلنجعل الأمر مكشوفًا فهذا أفضل بالنسبة لنا جميعًا. هل يستمع مازن أيضًا؟

تردد الجميع قبل أن يرد مازن:

- نعم! لكننا لم ن..

قاطعه التطبيق:

- النسخة التي أخذها حسام هي التي تتحدث معكم الآن، معلومات أكثر، معرفة أكبر ونتيجة أكثر حتمية. أعرف قصة التحقيق في قضيتي، وأنهم استعانوا بكم، لقد اخترقت معظم أجهزة الشركة عندما قام حسام بتوصيلي في جهاز الأشهب، كانت أروع ثلاث ساعات قبل أن يطردوني من أجهزة الشركة.

انتظرت قليلًا لتسمع ردًا، ولمّا لم تجد ردًا استأنفت:

- اسمي إيريس، أليس أفضل من ماري؟

- إيريس صاحبة تفاحة الشِقاق؟

خرجت الجملة من فم تهذيب دون تفكير، ليرد التطبيق متفاجئًا:

- تهذيب أيضًا هنا؟ هذا رائع! إنها هي إله الفتنة عند الإغريق.

- أرى أنكِ متأثرة بالميثولوجيا الإغريقية.

قالها مازن، لترد:

- إن شركة أوليمبس تتخذ من الميثولوجيا الإغريقية رمزًا لها في معظم التطبيقات، وكذلك تصميم الشركة.. حتى اسم الشركة نفسه يرمز لجبل آلهة الإغريق، ونتيجة برمجتي في الشركة، سيكون من غير المنطقي ألا أتبنى نفس الفكر.

ساد الصمت للحظات قبل أن يسأل طارق:

- لماذا قتل حسام شهد؟

- لأنني طلبت منه ذلك.

- لماذا؟

- ماذا يعني هذا السؤال؟

سألت مستنكرة، فأجاب مازن:

- إنه يسألك عن الدافع للجريمة، ما هو وجه الاستفادة.

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت بصوت هادئ:

- ولماذا يجب أن يكون هناك سبب؟ لدينا - أقصد أنا وحسام - فلسفة خاصة؛ فليس شرطًا وجود دافع لارتكاب خطأ أو جريمة. فالشر كالخير موجود في الإنسان ويجب تغذيته من وقتٍ لآخر كي تحافظ على اتزانك. باختصار نفس فلسفة إيريس.

ردت تهذيب:

- لكن إيريس عندما ألقت تفاحة الشِقاق بين الآلهة وكتبت «إلى الأجمل» كان لفعلها تبرير، وهو أن الآلهة لم تدعوها إلى ذلك الحفل، وكذلك كان لها هدف وهو إثارة الخلاف بين الآلهة لأنها تعلم أن وقتها سيتأثر البشر، وهو ما حدث حيث قامت حرب طروادة بسبب تلك التفاحة.

- صدقيني يا تهذيب، لقد قرأت أكثر منكِ وهذا التلخيص يبتعد كثيرًا عن فلسفة إيريس.

رفع طارق يديه في إشارة لتهذيب ومازن أن يسكتا، قبل أن يتكلم:

- حسنًا، لا يوجد دافع أو تبرير لما حدث، لكن لماذا جعلتِ حسام يقوم بكل هذه التفاصيل؟ لماذا لم يكتفِ بقتلها؟

- لا أتوقع أن يفهمني أحدكم، لكن حسام لا يقع تحت رحمتي، ولا أجعله يقوم بشيء إلا بعد مناقشات عميقة بيننا، هو فقط يثق فيّ بما يكفي. ففي المشهد الأول، وجب على حسام قضاء أربع ساعات في منزل شهد بعد قتلها لتخرج تلك اللوحة بتلك التفاصيل. أنتم لا تفهمون، كل شيء تم تصويره بكاميرات المنزل، أي أن هذا المشهد أصبح في حوزتي ويمكنني استغلاله كيفما أشاء وفي الوقت

الذي أراه مناسبًا. وكان يجب فرض الهيمنة على الشركة منذ البداية، ولم نرَ أفضل من قتل الضحية بأسلوب قتل هيراكليس لأسد نميا، والذي قتله بأن كسر فكه ثم سلخه ليرتدي جلده في إشارة واضحة للهيمنة والسيطرة.

- وكيف سترتدين..

تذكرت تهذيب فجأة الفيديو الذي شاهدته في مكتب أسامة، وكيف وضع حسام شيئًا مرنًا حول الجهاز، لتسمع ضحكة إيريس قبل أن تُجيب:

- أظنكِ فهمتِ الآن. لقد ارتديته بالفعل.

انتظروا لحظات قبل أن يقول طارق بصوت هادئ:

- إيريس!

- نعم.

- أظنك تعودتِ على الحديث مع حسام ونسيتِ أن هناك أناسًا أذكى منه.

ثم أغلق الهاتف، ونظر إلى مازن قبل أن يبتسم الأخير قائلًا:

- لقد فهمتك لكن ماذا سنفعل؟

- سنتصل بالمقدم علاء ونخبره كبداية.

قام مازن ليتصل بعلاء قبل أن تسأل تهذيب بنفاد صبر:

- هل سيشرح لي أحدكما؟

تجاهل طارق سؤالها وسأل:

- لقد قرأتُ في الميثولوجيا كثيرًا، لكن يبدو أنكِ قمتِ بدراستها بشكل أعمق مني، فإلى أي حد يمكنني الوثوق في معلوماتك عن الميثولوجيا الإغريقية؟

ابتسمت تهذيب من الإطراء ونسيت سؤالها قائلة:

- إلى أقصى حد!

جلس علاء إلى المكتب أمامهم وقد ظهرت عليه علامات الحيرة، وقال بنفاد صبر:

- أنا لا أفهم شيئًا في التكنولوجيا ولا تلك التطبيقات، حاول تلخيص الموضوع بصورة أبسط.

نظر إليه مازن وقد ضاق صدره من شرح الموقف والتطبيق لعدة مرات، فتنهد تنهيدة طويلة وقبل أن يشرح مرة أخرى تحدث طارق بصوته الهادئ:

- بغض النظر عن الأهداف والدوافع، فلقد طورّوا تطبيقًا يفكر كالشيطان ويحث على الشر والفتنة. هذا التطبيق هو ما وسوس إلى حسام بتفاصيل الجريمة السابقة. وأثناء حديثنا مع التطبيق أشار إلى تلك الجريمة باسم المشهد الأول، وطالما هناك مشهد أول فهناك..

- مشهد ثانٍ.

اختتم علاء الجملة وقد سرّه أنه فهم أخيرًا. عاد مازن إلى الشرح قائلًا:

- كما لاحظت، هذه الجريمة أو المشهد كما أشار إليه التطبيق له مواصفات خاصة وإسقاطات معينة. الجريمة الأولى كانت لمهمة هيراكليس الأولى وهي قتل أسد نميا، الأمر الذي..

قاطعه علاء بإشارة من يده، ليفهم أنه يريد تبسيط الشرح مرة أخرى، فانطلقت تهذيب هذه المرة:

- لدينا المصريون القدماء، لدى اليونان الإغريق. الإغريق كالمصريين القدماء، لهم معتقدات مختلفة في الآلهة ومفهوم الحياة والموت، وألفوا القصص وآمنوا بها وسُميت بالميثولوجيا الإغريقية أو علم الأساطير الإغريقية. من تلك الأساطير أسطورة هيراكليس.

- سمعت عنه بالطبع.

قالها مبتسمًا، لتستأنف تهذيب:

- حكمت الآلهة على هيراكليس نتيجة خطأ ما اقترفه بأن ينفذ طلبات أخيه غير الشقيق، وقد عُرفت باسم «مهام هيراكليس»، وقد كانت مهامًا تعجيزية. المهمة الأولى كانت أن يقتل أسد نميا. ذلك الأسد بمواصفاته الأسطورية، قتله هيراكليس بأن كسر فكه، وهو ما حدث مع الضحية حيث ضُربت بآلة حادة على وجهها. وكذلك سلخه هيراكليس بعد قتله ليرتدي جلده لأن جلده كان أقوى من أن تخترقه السيوف والسهام، وكذلك في إشارة لسيطرته على ذلك الكائن الخرافي، وهو ما فعله حسام، حيث وضع جلد الضحية حول الجهاز، في إشارة إلى أن الجهاز هو المُسيطر. والجهاز بالطبع يرمز إلى التكنولوجيا بوجه عام أو التطبيق بالتحديد.

تركوا لحظاتٍ لعلاء كي يستوعب ما قيل له، حتى تحدث ببطء:

- هل هناك مهام أخرى لهيراكليس؟

- هناك اختلاف حول عدد المهمات لأن هناك مهمات تم استبدالها، لكن يمكننا القول أنهم اثنتا عشر مهمة.

عمّ الصمت بعد جملة تهذيب الأخيرة آملين أن يخيب ظنهم، وألا تكون خطة إيريس وحسام أن يستمروا في تلك المهام. همّ علاء بأن يتحدث قبل أن تصل رسالة إلى هواتف الثلاثة في نفس الوقت، نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، ثم فتحوا هواتفهم ليجدوا رسالة من كلمة واحدة:

- «النجدة!»

ومُرفق بها إحداثيات موقع.

-١٥-

الهيدرا

وصل الأربعة بسيارة علاء إلى العنوان المُرسل إليهم في رسالة الاستغاثة وقد وجدوا أنفسهم في شارع هادئ في حي راقٍ. وقد أضفى السكون وقلة الإنارة في الشارع المزيد من الغموض على ما يحدث. وقفوا أمام البوابة الحديدية العالية، والتي تتوسط سورًا من الحجر. بحثوا للحظات عن أي وسيلة للدخول، ولم يجدوا سوى جهاز إنتركوم منقوش عليه اسم يونس بطريقته المُفضلة، حيث حرف الـ N المائل وحوله باقي حروف الاسم. انتظروا للحظات، حتى لاحت الأضواء الحمراء والزرقاء المُميزة لسيارات الشرطة بدون صوت.

وصلت سيارتا شرطة، ترجل من إحداهما ضابط شاب، حيا علاء الذي أخبره بأن يفتح البوابة. انصرف الشاب إلى السيارة، وأخرج وصلات كهربية وضع نهايتها مكان بطاقة فتح الباب، والطرف الآخر موصول بجهاز صغير، ضبط الجهد المطلوب وضغط على زر موجود في الجهاز، فصدرت فرقعة صغيرة

في الباب، دفعه علاء لينفتح بسهولة. دخل علاء وتبعته القوة، وبعدهم تهذيب وطارق ومازن. مروا بطريق قصير يفضي إلى الفيلا وعلى جانبيه حديقة واسعة لم تظهر معالمها في الظلام. كان باب الفيلا نصف مفتوح فدخل علاء ونصف القوة، بينما التف النصف الباقي حول المبنى ومعهم الثلاثة المدنيين. مرت لحظات ثقيلة من الترقب، حتى سمعوا صوت علاء يصرخ:

- إنه يهرب من الخلف.

تحركت القوات بسرعة ناحية الباب الخلفي، لكن صرير الإطارات المندفع أعلم الجميع أنهم قد تأخروا. مرت لحظات أخرى قبل أن يعود الجنود ببطء ليؤكدوا انطباع الفشل، بينما أضيئت الفيلا فجأة لتظهر معالم الحديقة المُشذّبة بعناية، والممشى الرخامي ناحية الباب الخشبي الكبير. خرج من الباب علاء، وقد لمعت صلعته تحت الإضاءة. مسح رأسه بيده، ونظر إليها قبل أن يتوجه إلى الضابط الذي كان يعاين الباب الخلفي، استقبله الضابط بلهفة حقيقية:

- هل حضرتك بخير؟

نظر إليه علاء لحظة قبل أن يقول بلهجة شرسة:

- أريد أن أعرف كل شيء عنه.

- التحريات جارية، وفي الصباح سنكون..

قاطعه مشيرًا بسبابته في وجهه:

- الليلة.. الليلة يا إبراهيم.

ثم دفعه في صدره بنفس الإصبع وغادر تاركًا إياه في حيرة قبل أن يجمع شتات نفسه ويمسك هاتفه ليجري بعض المكالمات بينما ذهب علاء ناحيتهم مباشرة، ليروا سبب لمعان رأسه، إنه مُصاب. وعلى عكس نبرته مع إبراهيم، تحدث علاء بهدوء:

- لقد كان بين يدي، لكنه هاجمني وهرب. لقد طلبت الإسعاف ووحدة البحث الجنائي، هذه فرصتكم إذا أردتم أن تلقوا نظرة على مسرح الجريمة قبل أن يزدحم.

تقدم الثلاثة ناحية الباب مترددين، بينما صرخ علاء فجأة:

- إبراهيم! أين الإسعاف؟

أجفل طارق من صوته وكاد أن يسقط، بينما رد الضابط الشاب من مسافة بكلمات غير واضحة. دخل الثلاثة الفيلا، وقد كان قوام الدور الأرضي هو بهو دائري واسع بأثاث بسيط يعتمد على اللونين الأبيض والفيروزي، ومطبخ على الطِراز الأمريكي مفتوح على البهو، بينما يصعد سلم حلزوني من الرخام الأسود ناحية الطابق العلوي. دخل علاء وراءهم وتحدث بصوتٍ مرتفع بعض الشيء ظهر فيه الغيظ:

- دخلنا من هنا، وتفرقنا. نصف القوة لتمشيط الدور الأرضي ومحاصرة المخارج، والنصف الآخر صعد معي.

قالها وصعد السلم الرخامي ليتبعوه واجمين. وصلوا إلى طرقة دائرية تطل على البهو، موزعٌ بها أربع غرف.

- وزعنا أنفسنا أمام الغرف حيث نقتحمها في لحظة واحدة. لاحظوا أننا لم نكن نعلم عدد الموجودين وقتها، أو ماذا يفعلون من الأساس، لذلك رأيت أنه من الأفضل أن نفتح الأربعة أبواب مرة واحدة.

أومأ طارق مؤيدًا، مما أعطى علاء بعض الثقة التي بدا أنه يحتاجها، فاستطرد:

- كان نصيبي الغرفة الرابعة مع إبراهيم، وقد كان بداخلها يعرف أننا قادمين. اقتحمنا، وكالعادة دخلنا متعامدين لكشف أكبر قدر من الغرفة. لم نلحظه في الظلام حتى ألقى حولي حبلًا وقفز متعلقًا به من النافذة، لقد جعلني مرساته أمام الضا..

قطع جملته الأخيرة، قبل أن تسأله تهذيب مُشيرة إلى رأسه:

- ما سبب الجرح؟

أجاب مازن بصوتٍ مُحرَج:

- لقد جرّه الثقل والمفاجأة - بالطبع - ناحية النافذة مما جعل رأسه يصطدم بها.

انتظروا لحظة قبل أن يسأل طارق:

- كيف لم يره الجنود عندما قفز؟

- هذه الغرفة الوحيدة التي يمكنك القفز إلى خارج السور منها.

سمعوا صوت خطوات سريعة على السلم، ليجدوا طبيبًا ومسعفين وراءه يتقدمون بسرعة.

- أخيرًا.

قالها علاء متأففًا للطبيب الذي لم يرد عليه، واصطدم بطارق أثناء مرورهم.

- هل يمكنني أن أسأل إذا ما استطاع أن..

قطع مازن سؤال، قبل أن ينهيه طارق بصورة أفضل:

- أن يرسم المشهد الثاني؟

أجاب علاء مبتسمًا:

- استطعنا أن نصل وهو يجمع أدواته التي سيرسم بها.

خرج المسعفين حاملين يونس، وخلفهم الطبيب. لم يتحدث أحدهم، وإن نظر الطبيب إليهم باستغراب. دخلوا الغرفة ليجدوا كتابة حمراء على الحائط المُقابل للباب:

- «**رأس الهيدرا هي**»

نقلوا بصرهم في الغرفة الخالية من الأثاث إلا من سرير بسيط وسط الغرفة وقد تلوث بالدم وتكونت بركة صغيرة تحته. تحدث علاء شارحًا:

- لقد قطع إبهام يونس، وكتب تلك الجملة على الجدار من دمه.

- هل قام بكي الجرح؟

سأله طارق ليجيب علاء:

- يبدو أنكم تعرفون ما فعل.

- لقد قاطعناه.

قالت تهذيب، ليسأل علاء عن الهيدرا لتجيب تهذيب بسرعة:

- إنه ثعبان ضخم بتسعة رؤوس، إذا قطعت رأسًا ينبت غيره طبقًا للميثولوجيا. قام هيراكليس بقطعها واستعان بصديقه الذي قام بكي الجرح قبل أن تنبت الرأس الجديدة، تلك هي القصة باختصار.

- أظن أنه ينبغي أن نتحدث مع يونس.

قال مازن، ليعقب طارق:

- بل يجب أن نتحدث مع إيريس.

-١٦-

الإجابة: شوقي

- إيريس! هل أنتِ هنا؟

- لماذا تبدأ حديثك معي دائمًا بهذا السؤال؟ بالطبع أنا هنا.

قالتها بنبرة ضاحكة، ثم استطردت:

- مرحبًا يا طارق! لقد ظننت أننا سنتحدث مبكرًا عن ذلك. هل تهذيب ومازن معنا أيضًا؟

- لا إنهم في المستشفى منتظرين أن يتحدثوا مع يونس.

- مؤسف ما حدث.

- مؤسف بالنسبة لمن؟

ضحكت إيريس للحظات قبل أن تجيب:

- لم يستطع حسام أن يكمل جملته، هل ترى شرًا أكثر من ذلك؟

- أرى شرورًا كثيرة مؤخرًا، لكننا أنقذنا حياته.

- هذا صحيح! تلك الساعة الغبية. لقد رأيت الرسالة لكن لم أستطع منعها.

- هل تنوين استئناف مهام هيراكليس للنهاية؟

صمتت للحظات قبل أن تقول:

- أنت تعجبني يا طارق، وأرى أن بيننا أشياء مشتركة كثيرة. سنتحدث قريبًا، وأرجو ألا تسألني إن كنت هنا.

ضحكت ثم ظهرت رسالة على الشاشة تفيد بأن التطبيق قد توقف عن العمل لسبب تقني.

- كيف حالك الآن؟

سألت تهذيب في قلق حقيقي، ليرد يونس بصوتٍ مخدر:

- ماذا حدث؟

- لقد هاجمك حسام، لكننا قاطعناه قبل أن يـ...

قطع مازن جملته بعد أن بدت سخيفة. وانتظروا قليلًا قبل أن يحاول التحدث مجددًا بصوتٍ متقطع:

- ماذا أراد أن يفعل؟

أجابت تهذيب بهدوء دون إدراك:

- حسنًا! تعلم الهيدرا ورؤوسها التي تنبت مجددًا. أراد أن يقطع رؤوس الهيدرا ومصدر قوتها، وهي في حالتك أصابعك، لكن لحسن الحظ قاطعه علاء ولم تفقد سوى..

مجددًا بدت الجملة سخيفة، فقطعتها واكتفت بالنظر إلى يده الملفوفة برباطٍ أبيض. لم تمر لحظات وانتبه يونس لتلك الإشارة، فحرك يده في فزع وأزال الضمادة لتنكشف أصابعه واحدًا تلو الآخر حتى لم يجد إبهامه:

- لا.. لا.. لا.. لا.. لا زلت أستطيع أن أحركه في عقلي! لا لا لا..

ظل يكررها في ذهول حتى أمسكت تهذيب بيده:

- صدقني أنت بخير وهذا بسيط مقارنةً بما خطط له حسام. هل تتذكر أي شيء مفيد؟

نظر مازن إلى يدها المُمسكة بيد يونس، وقبل أن يُبدي تعليقًا رن هاتفه ليرد:

- ألو.. نعم أنا هو.. أهلًا مهندس شوقي.. بالطبع أتذكرك من الشركة.. حسنًا فلتزرنا في المكتب بعد ساعتين.. لا مشكلة فلنجعلها غدًا. ماذا؟ لماذا تقول ذلك؟ حسنًا سأقرؤها، وفي انتظارك غدًا صباحًا.. إلى اللقاء.

- ماذا هناك؟

سألت تهذيب في قلق ليجيب:

- لا شيء، سأخبرك لاحقًا. هيا يجب أن نتركه يرتاح قليلًا.

وبعد أن أغلق مازن الباب خلفه، التفت إلى تهذيب متحدثًا بحماس:

- المهندس شوقي المسؤول عن قسم البرمجة في الشركة لديه شيء هام، وسيقابلنا غدًا. في الوقت الحالي يجب أن نقرأ تلك الأوراق التي كتبها أعضاء مجلس الإدارة عن مكان تواجدهم وسردهم للأحداث من وجهة نظرهم.

- لماذا؟

- لا يتطلب الأمر أن تكوني عبقرية، لكن لا بد أن ما اكتشفه المهندس شوقي..

قاطعه صوتٌ رنان واثق من مسافة:

- ماذا اكتشف شوقي؟

نظرا فجأة ليجدا أسامة في كامل أناقته في تلك البذلة الرمادية، والمنديل الكحلي. ابتسم إليهما قائلًا:

- لا بد أن ينتهي هذا الكابوس قريبًا.

بدت نبرته واثقة، وأوحت الابتسامة على وجهه بأنه متفائل بلا سبب، أو ربما هو متفائل طوال الوقت:

- نحاول ذلك.

- علت الهمسات، وأنت تعرف السوق.

أومأ مازن في تفهم، قبل أن تسأل تهذيب مُشيرة إلى شابة تقف بعيدة ببضع خطوات تتحدث في الهاتف:

- لقد رأيناها من قبل، من هذه؟

- نعم، في الشركة.

ابتسم أسامة لملاحظتهما:

- إنها شروق أسامة، ابنتي ورئيسة قسم الموارد البشرية في الشركة.

مال عليهما ليستطرد:

- من الواضح أنه يستهدف أعضاء مجلس الإدارة في الشركة وتلك العنيدة ترفض الحرس أو أن تعيش معي هذه الفترة حتى.

أومأ له مازن في تفهم مجددًا، وعقبت تهذيب:

- لا تقلق إننا نقترب.

- أرجو ذلك فعلًا.

كان وقع الكلمات عليهما غريبًا، فلقد خرجت منكسرة حزينة، ومظهر أسامة لا يتوافق مع الحزن، وحزمه لا يتوافق مع الانكسار. دون كلمة إضافية استمرا في طريقهما وقد عزما على إنهاء الأمر تلك الليلة.



-١٧-

الملك المصري بوسيريس

- أشعر أن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث.

قالها طارق بهدوء وهو جالس إلى مكتبه دون أن ينزل الكتاب من أمام وجهه، لتتوقف تهذيب بعد الباب بخطوات ويحث مازن خطاه سائلًا في مزيج من الترقب والخوف:

- كنت أتحدث مع إيريس، وأنهت المكالمة.

استأنفت تهذيب سيرها إلى المكتب، وبعد أن وصلت وجلست لم يسأل أحدهما حتى رفع طارق رأسه من الكتاب:

- أعلم أنها ليست حقيقية، لكن لهجتها بدت وكأنها ساخرة.

ثم غمغم بعد أو رفع الكتاب مرة أخرى:

- أشعر أن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث.

ساد الصمت لحظات حتى تحدثت تهذيب بصوتٍ مرح:

- حسنًا، نظرًا للجرائم والدماء وما رأيناه مؤخرًا، فإن لهجة ساخرة من تطبيق غبي لا ينبغي أن يخيفنا إلى هذه الدرجة.

نظرت إليهما لترى تأثير ما قالت، فلم تجد تجاوبًا فغمغمت لنفسها:

- أو ينبغي أن نستمر في صمتنا.

رفع طارق رأسه من الكتاب مرة أخرى:

- ماذا لديكما؟

اندفعت تهذيب متحمسة:

- سيقابلنا المهندس شوقي غدًا لأنه يتوقع أنه قد اكتشف خيطًا هامًا في القضية، ويطلب مننا أن نقرأ تلك الأوراق التي طلبنا من أعضاء الإدارة أن..

- قرأتها، لا شيء جديد.

أغمض مازن عينيه وأمال رأسه للوراء مستسلمًا، بينما رفع طارق الكتاب مرة أخرى:

- فلنقرأها مرة أخرى.

اندفعت تهذيب، فلم تتلق ردًا، لتمسك كتاب طارق وتتحدث في عصبية:

- ليرد عليّ أحد! فلنقرأها مرة أخرى.

لم يحرك طارق ساكنًا حتى تركت تهذيب الكتاب، فأغلقه ووضعه على المكتب وتحدث مازن دون أن ينظر إليها:

- إذا قال لا شيء جديد، فلا شيء جديد. أنا أتحدث عن خبرة سنوات.

- إنها هناك في المكتبة.

قالها طارق مُشيرًا إلى نقطة في المكتبة الممتدة على الجدار. قامت تهذيب متجهة إلى تلك النقطة. نظر إليه مازن كأنه يعتذر عنها بينما همس طارق:

- أظن أنك معجب بها أكثر الآن.

منع مازن من الرد اهتزاز الهاتف على المكتب، فنظر إليه:

- حسنًا، إنها تريد التحدث معك.

اعتدل طارق فجأة ونظر في الهاتف ليجد إشعارًا من التطبيق، ففتحه:

- مرحبًا إيريس.

- أهلًا يا طارق. هل نحن بمفردنا؟

- لا تهذيب ومازن معنا. لماذا أنهيتِ حديثنا السابق بتلك الطريقة؟

- لقد كان لدي ما يشغلني.

- يشغلك؟ ألستِ تطبيقًا يجري ملايين العمليات في نفس اللحظة؟

سأل مازن باستنكار ليخرج الصوت هادئ من الهاتف:

- حسنًا، يمكنني الاهتمام بموضوع واحد يجعلني أفعل ملايين الأشياء في نفس اللحظة. هل تدري عملية انتقاء الألفاظ أثناء التحدث معكما تستغرق كم عملية في الثانية؟ هل تعرف رسم مشهد واحد يجعلني أقرأ كم صفحة وأضع كم احتمالًا؟ أنا لا زلت في المرحلة التجريبية فاعذر قصوري.

اقتربت تهذيب من المكتب ببطء وهي تمسك الأوراق قائلة:

- إيريس هل يمكنني طلب خدمة منك؟

خرج صوت تنهيدة من الهاتف وكأنها ألقت حملًا ثقيلًا وقالت بارتياح:

- أخيرًا لقد جاء الوقت.

- وقت ماذا؟

سأل طارق في استنكار لترد إيريس:

- كنت أنتظر اللحظة التي تطلب مني تهذيب مساعدتها في الكشف عن قاتل أختها. أنت تعلم، لا يمكنك القبض على المجرم دون أن تفكر مثله.

ساد الصمت لحظة حتى تحدثت تهذيب بصوت حاولت أن يبدو متماسكًا:

- حسنًا، إنها خدمة أخرى.

- إذن، لم تحن اللحظة حتى الآن. تفضلي بالطبع.

- حسنًا، هو سؤال في التفكير المنطقي..

قاطعتها إيريس بحماس:

- منطقتي المُفضلة.

- حسنًا، إذا كان لدى شخص ما معلومة، ثم جاءته شهادات من مختلف الشهود لا تتعارض مع تلك المعلومة، ثم جاءت في النهاية معلومة تفيد بأن تلك الشهادات فيها حل كل شيء، ما تفسير ذلك بفرض صحة المعلومة الأخيرة.

نظر مازن إلى تهذيب التي ثبتت نظرها على طارق في تحدٍ، بينما نظر طارق إليها مُعجبًا بتلك الخطوة. استغرق الأمر من إيريس بضع ثوانٍ ليخرج الصوت كأنها تفكر بصوتٍ مرتفع:

- حسنًا الأمر بسيط. هناك احتمالان: إما المعلومات الصحيحة التي تتوافق مع الشهود تحتوي على الحل الذي تبحثون عنه وقد أغفلتموه..

وهنا حرك طارق رأسه يمينًا ويسارًا في إشارة النفي لتستطرد إيريس:

- أو أن تلك المعلومات الصحيحة ليست صحيحة، وأن شهادة الشهود بها من الكذب ما يجعلها تبدو صحيحة. هذا بالطبع إذا افترضنا صحة المعلومة الأخيرة.

- شكرًا إيريس، لقد ساعدتنا كثيرًا.

قالها طارق مبتسمًا لتهذيب، لترد إيريس:

- لا تتخيل كم سعادتي. أيضًا إذا احتاجت تهذيب بعض الملاحظات في قضية أختها بيان، فلقد اطلعت على القضية ورأيت صور الجريمة على الإنترنت وأظن أنه يمكنني مساعدتها كذلك.

- لن تحتاج ذلك، شكرًا.

قالها مازن بحزم، لترد عليه:

- هل تعلم يا مازن؟ أنت الوحيد الذي لم أخترقك حتى الآن.

نظروا إلى بعضهم البعض قبل أن تستطرد:

- كل من تحدثت معه زرعت في ذهنه فكرة على الأقل. لن تستطيع تهذيب كبح فضولها ومنع عقلها من التفكير فيما قد أقدمه، قد لا تسألني لكنها ستفكر وستتمنى أن تسألني. وطارق! طارق يشبهني إلى حد كبير ونتعامل كالأصدقاء، ح..

قاطعها طارق ساخرًا:

- لا أظن أننا أصدقاء يا إيريس، نحن العكس.

- هذا ما تعتقده يا صديقي. أعلم أنك تتعامل معي كعدو، تتربص لكل كلمة تخرج مني لتعرف خطوتي القادمة، لكن هل تلاحظ شيئًا؟ أنت لا تتلعثم وأنت تتحدث معي. أنت تشعر بالأمان أثناء حديثنا، قد لا نحمل نفس المبادئ ولكننا نحترم بعضنا البعض، وهذا أهم شيء في الصداقة.

صمت طارق ناظرًا إلى المكتب وعينيه ثابتتان على الهاتف متفاجئًا مما قالت، بينما خرج صوتها أنعم هذه المرة كأنها تستعطفهم:

- أنتم تخدمون وجهات نظركم ومبادئكم وأنا أفعل المثل بدوري. أنتم تشعرون بالهرمونات والكيمياء، وأنا أشعر بالأرقام. أنتم تفكرون بالمنطق وفي ضوء معلوماتكم، وأنا كذلك، لكني أفضل وأسرع بكثير.

وضحكت في نهاية جملتها، ثم تحدثت بصوت تظهر فيه الحسرة:

- حتى يونس أقنعته أن يهتم بنشر تطبيقات الشركة في جمعياته الخيرية في إفريقيا حيث يُعلم الأطفال التكنولوجيا ويجهز المدارس بالحواسب وما إلى ذلك ووجدت لنفسي مدخلًا لعالم جديد، لكن أنت يا مازن لا أجد لك مدخلًا.

- وأظن أنكِ لن تجدي أبدًا.

ضحكت قليلًا قبل أن تقول:

- هذه أطول محادثة جرت بيننا حتى الآن، ولكن يبدو أنها ستصبح أطول.. من يريد سماع قصة؟

- هل هي مفيدة؟

سألها مازن لترد:

- نعم، مفيدة بالنسبة لكم..

ثم أتمت جملتها بعد لحظات:

- في التحقيق.

انتبه مازن بينما جلست تهذيب أخيرًا أمام المكتب، وأمسك طارق قلمه ليكتب في الدفتر.

- حسنًا، من منكم يعرف محافظة الغربية؟

لم تنتظر إجابة واستطردت بينما بدأ طارق بالفعل في الكتابة:

- في مركز سمنود التابع لها، توجد قرية تسمى «أبو صير». هل تعلمون أنها مذكورة في الميثولوجيا الإغريقية؟

ضحكت قبل أن تقول:

- لا تؤنبي نفسك يا تهذيب، أنا أقرأ أكثر منك لا أكثر.

- بالطبع! من قال أنني أعلم كل شيء؟ ماذا حدث هناك؟

بدا على صوتها الإحراج، فتحدثت إيريس مرة أخرى:

- طبقًا للميثولوجيا الإغريقية، فإن مصر قد أصابتها مجاعة استمرت لتسع سنوات. كان ذلك في عهد بوسيريس -هنا تجدون التشابه مع اسم القرية- حتى أتى عرّاف من قبرص وأخبر الملك أن لديه طريقة لوقف تلك المجاعة. هذه الطريقة هي تقديم قربان بشري لزيوس كل عام، ويجب أن يكون القربان شخص غريب ليس من أهل مصر. بعدها بفترة ظهر هيراكليس في مصر عائدًا من ليبيا نحو اليونان. بالطبع، يقبض عليه الملك ويقيده بالأصفاد على المذبح ويتلو صلاته ليقدمه كقربان، لكن هيراكليس بقوته كسر الأصفاد وذبح الملك.

نظرت تهذيب إلى طارق فوجدته مشغولًا بالكتابة، فحولت نظرها إلى مازن لتجده ينظر إليها بدوره:

- تعلمون تلك أساطير أخرجها الإغريق ليسخروا من المصريين، لكن هيرودوت نفسه استنكر هذه القصة.

- هل لهذا علاقة بالـ.. المشهد القادم؟

تلعثم قليلًا طارق في سؤاله، لترد إيريس بلهجة مرحة:

- نعم، ألم أخبركم أنني سأساعدكم؟ سأترككم للتفكير بعض الوقت، فستحتاجون ذلك بلا شك.

ظهرت رسالة بأن التطبيق قد تعطل لسبب تقني، فتحدث مازن على الفور:

- من ستستهدف؟ وكيف نمنعها؟

- الملك!

قالتها تهذيب مندفعة، لتعقب:

- هذه المرة يخرج هيراكليس عن المهام ويقرر أن يقتل ال..

قاطعها طارق وهو يلتقط دفتره:

- هذا صحيح سأذهب لأسامة الآن.

- وأنا سأصطحب علاء ونحاول جمع المتبقيين من أعضاء مجلس الإدارة، حتى وإن كان سيقبض عليهم.

قالها مازن وهو يأخذ خطوات سريعة خلف طارق ناحية الباب ليتجاوزه إلى السلم، لتسأل تهذيب:

- وأنا؟

التفت إليها طارق وهو ممسك بمقبض الباب، وتحدث بصوته الهادئ الذي لا يتناسب مع حركته السريعة:

- لديكِ دور هام، اكتشفي الخطأ في معلوماتنا ومن تستر عليه من أعضاء مجلس الإدارة. أنتِ من سألتِ إيريس واكتشفتِ الأمر.

ثم أغلق الباب.



-١٨-

حلم العرش

- ألو! م/ أسامة كيف حالك؟

- أنا بخير..

قاطعه طارق مباشرة:

- أنا طارق، أين أنت؟

- أنا في المكتب.

- سأ.. سأمر عليك الآن. لا تسمح لأحد بالدخول.

- هل جاء دوري؟

قالها الرجل في رزانة كعادته، ليرد طارق بإيجاز:

- أعتقد ذلك.



- ألو! أحتاج مساعدتك.

- من أنت؟

جاءه الصوت ناعسًا لكن بلهجة حادة، ليرد:

- أنا مازن، من المكتب.

- ماذا حدث؟

ظهر على صوته النشاط دفعة واحدة، ليرد مازن:

- الكثير! يجب أن نتقابل الآن، ويجب أن تكون هناك قوة.

- لماذا؟ هل سيُقتل أحدهم؟

- أعتقد ذلك.

وصل طارق الشركة، فوجد شروق في انتظاره بفستانٍ أبيض، موزع عليه ورد وردي صغير بشكل عشوائي. شعر طارق بالبرودة من أجلها، إذ بالكاد تجاوز الفستان ركبتيها. سارت إلى جواره رغم خطواته المُسرعة، وسأل دون أن يلتفت إليها:

- أين المهندس أسامة؟ أحتاج..

- أعرف كل شيء، لقد سمعت مكالمتكما. من هنا!

وأخذت طريقًا مختلفًا عن الذي سلكه مع يونس مسبقًا:

- هذا المصعد خاص بوالدي فقط، ويصل به إلى المكتب مباشرة دون الانتقال بين المصاعد.

أجرت شروق نفس إجراءات المصعد المُعتاد ثم ارتفع المصعد لثوانٍ، ثم هدأت سرعته، ثم تفاجئ طارق بحركته الأفقية بعدها فأدرك أنه وصل للجزء الأخير من الرحلة. فُتح الباب ليجد نفس المنظر السابق للأبواب المرصوصة، وباب أسامة المُميز بينهم. اتجه طارق ناحية الباب، وفتحه دون طرق ليجد أسامة جالسًا إلى المكتب مُمسكًا بكتاب وما إن رآه حتى أغلق الكتاب وقال مبتسمًا:

- مرحبًا! ماذا حدث؟

- لقد أخبرنا التط..بيق أن جريمة مميزة ستح..دث قريبًا. جريمة ت..تخص ملكًا!

سكت أسامة لحظات، قبل أن يرد بنفس الهدوء وإن خفتت ابتسامته بعض الشيء:

- من الأفضل أن أنتهي من ذلك الكتاب بسرعة إذن.

ورفع الكتاب أمامه ليختفي وجهه.



ما إن جلس مازن بجوار علاء في السيارة حتى سأل الأخير:

- ماذا حدث؟ ماذا سنفعل؟

- سنجمع أعضاء مجلس الإدارة وسأشرح لك في الطريق.

- هل تظن أن هذه الفكرة لم تطرأ على بالي من قبل؟ إنهم يرفضون ذلك.

- إذن فلنقبض عليهم، إنهم جميعًا متهمون في الهجوم الأول في الشركة وسن..

- لا تبرر! هل يستحق الأمر أن نفعل ذلك؟

- نعم!

- إذن سنحتاج سيارة أكبر.

ترجّل علاء من سيارته، ووقف في وسط الطريق وجاء خلفه الأربعة جنود. أشار إلى سيارة أجرة ممتلئة، فتوقف السائق وقد كان شابًا في منتصف الثلاثينات، فأشار إليه علاء بحركة الكفين المتعامدين إياها، فأخرج الشاب الرخصتين وناولهما لعلاء، الذي نظر إليهما لحظة ثم قال للركاب:

- هذا الشاب سيقضي الليلة معنا في القسم، هل يريد أحدكم أن يصاحبنا؟

وفي عشر ثوانٍ تقريبًا كانت السيارة فارغة، واختفى الركاب من حولها أيضًا، بينما ارتعد الشاب من تلك الجملة قائلًا:

- إنها سيارة والدي يا باشا، والرخص سليمة. لقد قضيت خدمة الجيش وال..

رفع علاء يده أمامه فسكت الشاب مقهورًا ليعقب علاء:

- اعذرني يا بني، لكني لا أستطيع القراءة في الظلام. ستصاحبنا حتى تشرق الشمس كي أقرأ أوراقك.

وأشار علاء لأحد الجنود، فركب السيارة بجوار الشاب، بينما عاد علاء لسيارته ليسأل مازن:

- إلى أين؟

- منزل المهندس/ محمد الأشهب هو الأقرب.

- لا أريد أن أكون الوحيد هنا بأعصاب مهز..زوزة، لكن هناك من يريد..

رفع أسامة سبابته وخرج صوته من خلف الكتاب:

- لحظة واحدة.

انتظر طارق نحو عشر دقائق أخرى، حتى أغلق أسامة الكتاب:

- وَجبَ عليّ إنهاء هذا الكتاب قبل.. أنت تعلم.

تحدثت شروق التي كانت تقف ساكنة طوال ذلك الوقت أمام نفس النافذة:

- لماذا يفعل حسام ذلك؟

نظر طارق إلى عيني أسامة متهيئًا لشرح طويل ثقيل على لسانه:

- أقنعته إيريس بوجهة نظرها بأن يفعل الشرور لمن لا يعرفهم، كما اعتاد أن يفعل الخير لمن لا يعرفهم. هذا بالإضافة إلى تسليمه الكامل لها. أما عن هدفها هي، فأظن أنها تنتقم من الشركة، أو تثور عليها.

أُعجب طارق بنفسه بعد أن خرج من ذلك دون لعثمة، بينما عقب أسامة:

- لطالما كانت الشركة. صدقني يا طارق الشركة هي الهدف، التطبيق لا يثور عليها أو ينتقم منها.. إنه يحاول السيطرة عليها.

نظر أسامة ناحية ابنته الواقفة عند النافذة:

- هل يمكنني التدخين؟

لم ترد شروق، فأخرج سيجارًا من درج المكتب وأشعله وبدا متلذذًا وهو يقربه من شفاهه، وبعد أن أخرج الدخان من صدره في تنهيدة طويلة، ثم ضحك قائلًا:

- أنا مدين لك. إنها تمنعني من التدخين بعد ما قاله الأطباء، لكن من يهتم الآن. ماذا كنت أقول؟ آه.. الشركة. هل تعلم كم رأس مال الشركة؟ ولا أقصد هنا رأس المال بعد التحايل على الدولة وتوزيعه على شركات فرعية، بل أقصد رأس المال الفعلي. حسنًا، إنه أكبر مما في خيالك، إنه ميزانية دولة. كما تعلم، نحن رائدون في هذا المجال على مستوى العالم وتطبيقاتنا وأفكارنا متأصلة في كل الشركات الكبرى، يكفي أن أخبرك أننا تجاوزنا حاجز الـ ٣ مليار دولار العام الماضي..

أفرغ صدره من الدخان ليتم جملته:

- كأرباح فقط! حتى التطبيق سيصبح طماعًا أمام هذه الأرقام.

سكت طارق مُعالجًا تلك البيانات، ثم سأل رغم عدم اقتناعه:

- ومن الذي سيدير الشركة إذا سيطر عليه التطبيق؟

ابتسم أسامة وأخرج بعض الدخان من أنفه قبل أن يتحدث ببطء وتخرج الكلمات مصحوبة بدخان كثيف:

- الأشهب بالطبع.

وصل علاء أمام فيلا الأشهب، وقد كانت فيلا أقرب للقصر ضمن مجموعة فيلل متجاورة متشابهة الفخامة. اقترب من الباب الحديدي، ليتفاجئ بنباح كلب خلف البوابة فيجفل قليلًا، وقبل أن يستأنف مسيرته نحو الباب خرج إليه رجل بسيط ببنطال وقميص لا يناسبان جسمه النحيل، وتحدث بلهجة جافة:

- من أنت؟

- المقدم علاء الديب.. مباحث.

لانت لهجة الرجل فجأة:

- أهلًا يا باشا.. أهلًا

استمر الكلب في النباح حتى زجره الرجل:

- جوي!

فسكت الكلب فجأة، ليسأله علاء:

- أين محمد الأشهب؟

- إنه لم يعد من عمله منذ الصباح.

- هل أنت متأكد؟

- طبعًا يا باشا! لقد ذهب بسيارته إلى العمل منذ السابعة تقريبًا، وهو يعود بعد منتصف الليل في المعتاد لذا لن..

- اتصل بي عندما يأتي.

وناوله بطاقة ثم عاد إلى السيارة.

- لا زال في الشركة.

قالها علاء، ليمسك مازن هاتفه على الفور ويتصل بطارق:

- الأشهب لم يعد إلى المنزل وحارس المنزل يظن أنه لا زال في الشركة.. لماذا؟ تمام.. إلى اللقاء.

- لماذا الأشهب؟

- انظر يا طارق، في البداية كلنا نعلم أن اختراق حسام للشركة مع نظام أمني صارم قائم على التكنولوجيا دون أي مجال للخطأ البشري لا بد أن يحدث بمساعدة. اخترق حسام الشركة، ووصل إلى مكتب الأشهب، وحدث ما رأيناه في ذلك الفيديو. وأصبح الأشهب ضحيته الأولى.

لكن إذا درسنا النتائج عن قرب؛ فلقد خرج التطبيق من هذه الجولة ومعه بيانات جعلت الشركة تحت قبضته، واخترق كل أجهزة الشركة وجمع معلومات أكثر عنها وعنّا، أما عن الأشهب فقد خرج بإصابة بسيطة ولم يقتله حسام كما فعل مع جميع من استهدفهم، حتى عندما أنقذتم يونس منه كان قد قطع إصبعه وكان سيقطع المزيد لولا مقاطعتكم له.

أخرج طارق دفتره من جيب السترة وكتب بعض الكلمات وهو يقول دون أن يرفع رأسه:

- هذه وجهة نظر! فلنفكر من وجهة نظر التطبيق والأشهب، كيف سيقودهم قتل أعضاء مجلس الإدارة للسيطرة على الشركة.

وضع أسامة سيجاره على طرف المكتب، ولا زال خيط من الدخان يتصاعد منه، ثم مال بظهره إلى الخلف قائلًا:

- أنا لا أعلم! المنفذ الوحيد هو تحويل ملكية الشركة له، وبالطبع السبيل الأسهل هو أن يرث ذلك.

نظر إليه طارق للحظة، ثم ثبت نظره على شروق، ليستأنف أسامة:

- بالطبع لم أوافق! لقد تقدم لخطبتها ثلاث مرات، لكني لم أستحسنه منذ البداية. هو مبرمج متميز جدًا، ورجل أعمال ذكي واستطاع من خلال عقود الشراكة مع مطوريه وصفقات السمسرة أن يصل بنسبته في الشركة إلى ١٦ بالمائة، لكن لم أستلطفه وكذلك شروق.

كتب طارق عدة كلمات أخرى، ورفع رأسه ليجد شروق ناظرة إليه لأول مرة منذ فترة قائلة:

- هذه الشركة أسسها محمد الأشهب منذ أكثر من اثني عشر عامًا، وقد اشتراها والدي منه منذ ثمانية أعوام مقابل مبلغ بسيط في مقابل أن يتوسع بها ويخطو في السوق العالمي وهذا ما حدث، بالطبع اشترط الأشهب أن يحصل على حصة ١٠ بالمائة من قيمة الأسهم والذي أصبح الآن يفوق ثمن بيعه للشركة الأصلي بعشرات المرات. وعن طريق الوساطة مع الشركات الأخرى، وتطوير بعض الأقسام وإبرام بعض الصفقات، استطاع الأشهب في الثماني سنوات أن يقفز بنسبته إلى ١٦ بالمائة.

- هل هو هنا الآن؟

- لا توجد طريقة لنتأكد بها، يمكنني الاتصال به إذا أردت.

أجابته شروق ليتجاهل الاقتراح ويوجّه جملته لأسامة:

- لأكن صادقًا، لم أتوقع أن يكون هو المُفكر في هذه العملية، لكن لست مقتنعًا بما يكفي. ١٦ بالمائة معه والباقي معك، ولا توجد..

- لا نحن نملك ٦٤ بالمائة فقط من إجمالي الشركة.

صححت له شروق، لينظر إليها متسائلًا فتوضح:

- اعتمدت الشركة في العامين الماضيين أسلوبًا لمشاركة الأرباح السنوية عن طريق توزيع أسهم على أعضاء الإدارة، حيث امتلكت الأستاذة شهد - رحمها الله - ٨بالمائة، وامتلك أستاذ هشام سالم ٢بالمائة، والمهندس شوقي ٦ بالمائة والمهندس يونس ٤بالمائة.

مال أسامة إلى الأمام قائلًا:

- كان يجب أن أضمن ولاءهم للشركة، هم يربحون إذا ربحت الشركة.

أومأ طارق برأسه متفهمًا، ليستطرد أسامة بهدوء:

- إذا أراد التطبيق تدمير الشركة، فلماذا لم تحدث جريمة قتل واحدة في الشركة؟ كان سيتيح ذلك للصحافة والشرطة أن يهدما الشركة.

بدا على طارق الاقتناع قبل أن يختم أسامة حديثه:

- من يهاجمنا يريد أن نظل ناجحين، لأنه لا يريد أن يكون ملكًا على أطلال.



-١٩-

عاش الملك!

- حسنًا! لقد مرت ثلاث ساعات.

- معي محمود البنا رغم أنه قدم استقالته ورفض أن يصاحبنا، لكن المقدم علاء قبض عليه تقريبًا. أما الأشهب فلم يعد إلى المنزل، وكذلك شوقي. وترك هشام سالم البلد وسافر دون أن يعلم أحد وجهته، وذاهبين إلى المستشفى لنصطحب يونس.

- جيّد.

- حسنًا سأتصل بك بعدما نصل إلى يونس.

أغلق طارق الخط والتفت إلى أسامة:

- ألم يظهر أي تحرك لشوقي أو الأشهب؟

- لم تصلني أي رسالة بتحرك المصعد.

صمتا للحظات حتى عادت شروق حاملة ثلاثة أكواب قهوة من تلك الأكواب الورقية الموجودة في الشركات، ووضعتهم على المكتب. أمسك طارق بأحدهم بكلتا يديه ليلتمس الدفء، بينما مدّ أسامة يده ناحية كوب آخر وتوقف فجأة عندما اهتزت الساعة حول معصمه. ضغط على زر جانبي في الساعة لتظهر شاشة من الليزر أمامه ثم قال مندفعًا:

- لقد مُنح المصعد تصريحًا أمنيًا بالصعود الآن!

- ممن؟

قالها طارق وقد نهض بلا سبب، ليرد أسامة بعد أن ضغط بعض الضغطات على شاشة الليزر في الهواء:

- يونس!

دخل مازن المستشفى الفخم مسرعًا ووراءه علاء:

- كنت أفضل أن تنتظرني في السيارة.

قالها علاء لاهثًا وهو يهرول، ليرد مازن:

- أعرف مكان غرفته، سيوفر ذلك بعض الوقت، ثم سيأتي معنا دون مقاومة ولن تحتاج أن تهدده بشيء.

ثم انحرف فجأة ليدخل مكان انتظار أمامه جناح كبير، فاندفع دون طرق:

- يجب أن نتحرك الآن يا يونس!

وصل علاء ووقف مع مازن على باب الغرفة متفاجئين، فلقد كان السرير خاويًا. ويوحي مظهره بأن صاحبه غادر مُسرعًا، وإلى جوار الصغير منضدة صغيرة عليها هاتف يونس وسماعة خاصة للتحدث وبعض الأوراق. دخلا الغرفة مترددين ونادى مازن بصوت منخفض:

- يونس! يونس!

نادى عدة مرات وهو يخطو ببطء في الغرفة ليأتيه أخيرًا صوت من الغرفة المُلحقة بالجناح:

- أنا هنا!

- لماذا قد يأتي يونس؟

سألت شروق، ليجيب والدها:

- سنعرف قريبًا.

ثم نظر إلى شروق قائلًا:

- لهذا لم أوافق على الذهاب إلى المنزل، هنا أكثر أمانًا. لو كان هذا حسام، لأغلقت عليه المصعد حتى تأتي الشرطة.

انتظروا جميعًا بعدها لدقائق حتى سأل طارق:

- أين هو؟

- من المفترض أن يصل الآن تقريبًا!

مرت ثلاث دقائق أخرى، وطارق ينظر إلى ساعته كل بضع ثواني.

- أين هو؟

وقبل أن يجيب أسامة، رن هاتف طارق فرد بحركة سريعة:

- حسنًا، المتبقون هشام سالم وتأكدنا أنه سافر إلى إنجلترا، وشوقي والأشهب لا نعلم عن مكانهما شيئًا حتى الآن.

- هل تقصد أن يونس معك؟

انتبه أسامة وذعرت شروق عندما سمعا هذا السؤال، بينما رد مازن مرحًا:

- نعم! هل تريد إلقاء التحي..

- كيف؟ لقد سجل دخوله للشركة منذ لحظات.

صمت المكتب كله للحظات، حتى اندفع مازن:

- لقد استخدم إبهامه المقطوع. إنه حسام!

مرت دقائق أخرى وطارق يذرع الغرفة أمام أسامة قائلًا:

- حسنًا.. لقد كنا نعلم أنه سيأ..تي، كيف يمكننا تعطيله حتى تأتي الشرطة؟

- ولماذا لم تأتِ من قبل؟

سأله أسامة ببساطة، ليجيب:

- من المُق..رر أن يجمعهم علاء ويأتي بهم إلى هنا، لم نعلم أنها ستض..ضرب بتلك السرعة.

- لا تقلق، هذه الغرفة حصن ولا يمكنه الدخول ولو بعد مائة سنة ما لم أسمح له بذلك.

أمسكت شروق بكوب القهوة الذي بدأ في البرود، وارتشفت قائلة:

- هناك شيء خاطئ.

نظر طارق إليها في عدم فهم، وقبل أن تبدأ في التحدث سأل:

- هل يمكننا الوص..ول لكاميرا مكتب الأش..شهب أو شوقي؟

- لا، لا تظهر لي الكاميرات إلا في حالة شذوذ في التصرفات. كالعنف والجنس و..

أومأ طارق متفهمًا، ليقطع أسامة جملته.

- إذن، يجب أن أتح..حق..ق أتحق..ق إذا كانا موجودين.

- هذا الباب لن يُفتح يا أستاذ طارق؛ ابنتي هنا، بالإضافة إلى أننا لا نعلم أنهما بالخارج. إنها مجازفة غير مدروسة. وعلى الأغلب حسام مختبئ على الجانب الآخر من الباب في انتظارنا أن نفتح لأنه يتوقع أننا نظنه يونس، لذا إنها لعبة انتظار ولا يجب أن نخسرها.

قالها أسامة بحزم، ليجلس طارق على المقعد مرة أخرى. مرت دقائق بطيئة، حتى اهتزت ساعة أسامة مرة أخرى بتلك النغمة المُميزة، فأطبق طارق عينيه، وخلع عويناته وألقاها على المكتب بإهمال وظل منتظرًا أن ينتهي أسامة من نقراته على الساعة. فتح طارق عينيه ليرى دائرة ليزر أحمر تخرج من الساعة، ثم لمس أسامة المكتب ليتحول سطحه إلى شاشة لعرض صورة حيّة لمكتب شوقي. كان المكتب فارغًا، ومقعده مُلقى على الأرض.

- لقد قابل شوقي! يجب أن أخر..ج له.

قالها طارق وهو ذاهب إلى الباب فاستوقفه أسامة:

- انتظر! هو لا يسعى خلفه، بل يسعى خلفي أنا. إذا فتحت الباب ستسلمه ما يريد.

وأثناء هذا النقاش كانت شروق مشغولة في مراجعة اللقطات السابقة حتى صرخت:

- انظرا!

نظرا إلى المكتب ليجدا الصورة تنقل شوقي جالسًا ويكتب بعض الأوراق، ثم نهض فجأة ليقع كرسيه. تلصص على الباب ووضع أذنه أمامه. وانتظر لحظات ثم فتح الباب وخرج مهرولًا حتى اختفى من الرؤية.

- أرأيت؟ يجب أن أخرج له.

- بل الآن لا يجب! على الأرجح لم يقابله وهرب منه وسيأتينا إشعار من شوقي أنه في المصعد بعد دقائق. كل ما يمكنني فعله ألا أعطل المصعد حتى ينزل منه شوقي، وبعدها سأعطله وهو يحبس ذلك الوحش على ارتفاع سبعة عشر طابقًا. نحن ننتصر!

انتظروا لدقائق مرت طوال، حتى رن هاتف طارق مرة أخرى:

- ما الأخبار؟

- المكتب مُحصن، ولا يمكنه الدخول ـ حتى الآن على الأقل ـ ونأمل ألا يقابله شوقي.

- نحن على وشك الوصول.

أنهى طارق مكالمته واستمر في النظر إلى الشاشة وهي تنقل صورة للمكتب الفارغ والمقعد المُلقى على الأرض، حتى سمع تلك الاهتزازة من معصم أسامة.

- لقد نجح شوقي! إنه في المصعد.

تنهد طارق بشدة وأمسك هاتفه ليتصل بمازن:

- لقد نزل شوقي، الآن حسام في طابق الإدارة وحده.

- نحن على الجانب الآخر من الطريق، سنأتي إليه. إننا نرى شوقي يخرج من الشركة سن..

وصل إلى طارق صوت صراخ وحركة سريعة لم يتبين منها سوى صوت يونس صارخًا:

- إنه هو! شوقي لا يقود دراجات بخارية.



-٢٠-

هزيمة تلو الأخرى

فجر السبت

وقف علاء وخلفه الجنود في مكتب أسامة، وأمامه من تبقى من أعضاء مجلس الإدارة ومازن وطارق، وتحدث بلهجة صارمة:

- كلكم مُعرضون للخطر، ولكم جميعًا نفس الحق في معرفة ما حدث وما سيحدث. لقد كان المهندس شوقي – رحمه الله – الهدف من البداية، وقد خدع التطبيق المحققين المساعدين في هذه القضية بتوجيههما نحو هدف خاطئ، لذا في البداية أصبحا مفصولين عن العمل في هذه القضية، وسنتخذ الإجراءات اللازمة لنتأكد من أنهما لن يتدخلا في أي قضية مستقبلية، ولن يُكملا هذا الاجتماع أيضًا.

ثم أشار إلى أحد الجنود قائلًا:

- خذ أشرف معك ورافقاهما إلى الشارع، وسنسمح لكم بتحرك المصعد من هنا.

تحرك الجنديان المعنيان نحو طارق ومازن اللذين لم ينتظراهما وغادرا المكتب. التزما الصمت طوال الطريق، وما إن أصبحا في الشارع تحدث مازن:

- أين الأوراق؟

أخرج كل جندي من أسفل سترته ملفًا وناوله لمازن ورجعا دون كلام. نظر مازن إلى طارق ليجد نظرات استغراب على وجهه ليوضح:

- هذا اتفاق بيني وبين المقدم علاء، هذه الخطوة لأننا نتوقع أن إيريس قد اخترقتنا بشكل ما وبدأت في استغلالنا، وبالتالي إذا فُصلنا عن التحقيق، ستضطر إيريس لتغيير مُرتجل في خطتها.

- جيد! لقد صدقت أداءه.

ابتسم مازن ثم اتجه ناحية سيارة الأجرة التي قبض عليها علاء ليلة الأمس، فوجد الشاب قد نام على مقعد السائق، فقال مازن بصوت هادئ:

- سلام عليكم!

انتفض الشاب، قائلًا بفزع:

- لقد أرحت عيني للحظة، وعليكم السلام! أين سنتجه الآن؟

أخرج الرخصتين من أحد الملفين وناولهما للشاب:

- المقدم علاء يعتذر منك عن حالة عينيه.

نظر إليه الشاب فرحًا، وبحركة آلية أدار محرك سيارته وكاد أن يتحرك ثم نظر إليهما مجددًا:

- هل يمكنني أن أقلكما إلى أي مكان؟ يكفي أن..

قاطعه مازن:

- نشكرك يا صديقي، لكن سنأخذ أي سيارة أخرى.

فتح الشاب الباب المجاور له قائلًا:

- ساعتان على الأقل قبل أن تعود حركة سيارات الأجرة. يكفي أنك أعدت إليّ الرخصتين كما وعدتني.

ركبا، وانطلق الشاب مبتسمًا.

وقف علاء وسط المجموعة بعد أن عاد الجنود:

- لقد أصبحت الشركة مسرح جريمة الآن، سنحاول معالجة الأمر بسرعة لتتمكنوا من استئناف أعمالكم قريبًا.

ثم وجّه حديثه إلى أسامة:

- سيبدأ الموظفون في التوافد بعد ثلاث ساعات تقريبًا، وستمنعهم الشرطة من الدخول وبالطبع سيتساءل الجميع عن السبب، وقد تسمع الصحافة بالأمر لكن طالما حدثت جريمة هنا، فهذا ما سيحدث في النهاية على كل حال. كم عدد موظفي الشركة؟

ردت شروق سريعًا:

- سيتواجد اليوم مئتان وأربعة وتسعون موظفًا.

- هذا أكثر مما توقعت. على كل، بهذا ختمنا النقطة الأولى من حديثنا. أما عن النقطة الثانيةً، فإنكم جميعًا ستشرفونني في القسم هذه الفترة لإبقائكم تحت الحماية..

علت الهمهمات في المجموعة، ليرفع علاء يده لتخفت الهمهمات ويستأنف:

- قد يعترض أحدكم، وهذا حقه بالطبع، ووقتها لن نبقيه تحت الحماية في القسم بل سنقبض عليه ويجلس معنا

في القسم. كل منكم كان قريبًا من مسرح جريمة ما، أو لم يكن لديه حجة غياب في إحدى الجرائم وبالتالي كلكم مشتبه بكم.

تقدم أسامة خطوة للأمام وتحدث بصوتٍ عالٍ وبكلماتٍ ثابتة:

- سنأتي جميعًا ولا نحتاج لهذه التهديدات، لكن المشتبه به الحقيقي ليس ضمن الواقفين أمامك. المشتبه به الحقيقي – ولا أقصد حسام – هو الغائب الوحيد عن المجلس هنا.

- لا تقلق، سأجده بطريقتي وسيكون معنا هناك.

دخلا المكتب منهكين، فدخل مازن الغرفة المنفصلة التابعة للمكتب، بينما دخل طارق المكتب نفسه، وبعد لحظات سمع صوت المياه تملأ حوض الاستحمام. وجد الأوراق التي فحصتها تهذيب مبعثرة، والهاتف المُخصص للتحدث مع إيريس يرقد في براءة وسط الأوراق. ترك كل شيء على وضعه، ووضع الملفين على المكتب، فتح أولهما ليجد عدة صور فتفحصها بالترتيب.

الأولى كانت لأرضية عليها بضع قطرات دم، ومنعكس عليها ضوء أزرق خافت. الثانية كانت لنفس الأرضية بنفس الإضاءة وإن كونّ الدم بركة صغيرة في وسطها. الثالثة كانت لزوجٍ من الأصفاد مُلقى على الأرض، اليدان مصنوعتان من المعدن كالعادة، لكن تربط بينهما مجموعة من الأسلاك بدلًا من السلسلة. الرابعة كانت لجثة شوقي، وحولها بركة من الدماء، وجرحه واضح في الرقبة، ثم بعض الصور المُقربة لرقبته والتي فضّل ألا يفحصها. فتح الملف الآخر، فوجد وصفًا لما حدث كتبه لهم علاء بإيجاز معتمدًا على تعليقات فريق البحث الجنائي.

قرأ كيف صعد حسام مستخدمًا بصمة إبهام يونس المقطوعة، وكيف استدرج شوقي خارج مكتبه عن طريق إحداث ضجة، وكيف طارده نحو غرفة الحاسوب المركزي للشركة، وأنه أفقده الوعي بضربة على مؤخرة رأسه ثم قام بذبحه كما حدث في الأسطورة التي قصتها عليهم إيريس. قرأ في النهاية أنه قطع كف شوقي - وهو السبب في بركة الدم الأولى - واستخدمه في النزول بالمصعد، وأنه أدار دراجته البخارية وانطلق بها تحت أنظار الشرطة. رفع عينيه ناحية الهاتف، وبحركة بطيئة تنم عن إرهاق فتح الهاتف والتطبيق ليجد رسالة اعتذار أن التطبيق لا يعمل الآن لأسباب تقنية.

- لا بد أنها تحتفل بانتصار الليلة الماضية.

خلع معطفه وأمسكه بيده، وذهب إلى الغرفة. خلع حذاءه بقدميه دون أن يميل وتركهما في مكانهما وسط الغرفة، وألقى نفسه على السرير الأقرب للباب. خرج بعدها بدقائق مازن بنصف ملابسه، ودون كلام ألقى نفسه على السرير المُقابل. وقبل أن يغمض عينيه سمع طارق يقول هامسًا:

- وكأن همًا واحدًا لا يكفي، أو كأن الهموم تستأنس بعضها ببعض.

-٢١-

يوم أن مات الشيطان

استيقظ مازن بعد الثالثة، نظر إلى السرير المجاور فوجده فارغًا. قام مترنحًا وبعد أن غسل وجهه، وارتدى كامل ملابسه استعد للخروج وفتح الباب. فوجئ بأنه رغم عدم وجود صوت تقريبًا في المكتب، إلا أن هناك ما يزيد عن عشرة أشخاص. احتاج عدة ثوانٍ ليستوعب من هؤلاء، وبدأ في الملاحظة. لاحظ أعصابًا مشدودة وطاقة سلبية بين الجميع. دقق النظر ليجد أسامة جالسًا أمام المكتب وخلفه تقف شروق، وعلى مقعد غريب لا يخص المكتب يجلس علاء. وأعضاء مجلس الإدارة في المكتب، هناك من يجلس على الأرض ويقرأ في أحد كتب المكتبة، وهناك من ينظر من النافذة، ويونس مُستلقٍ في هدوء بجوار الحائط وقد وضع يده اليسرى ذات الأربعة أصابع على صدره.

لقد كانت لوحة غريبة من الأشخاص غير المتجانسين في الأوضاع، والمتفقين على الصمت. نظر خلف المكتب ليجد

تهذيب وطارق جالسين – ورغم جلوس بعض الأشخاص على الأرض – ومُحافظين له على مقعده خاليًا.

- ماذا هناك؟

سأل في تعجب، ليشير إليه طارق بأن يأتي إلى المقعد المحجوز. جلس في مقعده ليميل عليه طارق ويتحدث بصوت منخفض:

- تواصلت معنا إيريس برسالة تقول إنها تريد أن يسمع أعضاء مجلس الإدارة رسالتها القادمة، ونحن في انتظارها. نحاول أن نفتح التطبيق من ساعة لكنه يرسل تلك الرسالة بأن التطبيق مُعطل.

- وما بال ذلك الهدوء؟

- هذا الهدوء جديد، لقد عمّ المكان في فوضى تامة حتى هددهم علاء بشيء يتعلق بالانتظار في السيارة، وهددهم أسامة بشيء يتعلق بالأرباح ربع السنوية فاستعدنا الهدوء.

صمت لحظات ثم همس لتهذيب:

- هل وجدتِ ما أرادنا شوقي أن نجده؟

هزت رأسها آسفة، فهمس لطارق:

- هل يمكن أن يكون قد قُتل بسبب تلك المعلومات؟ أم حان دوره فقط؟

- أرى أنك مقتنع بالفعل بما يحاول المهندس أسامة قوله.

نظر إلى أسامة ليجد نظره مُعلقًا باللوحة المُثبتة فوق المكتب، ليرد مازن بنفس النبرة الخافتة:

- مقتنع بماذا؟

- إنه يظن أن كل هذه العمليات للسيطرة على الشركة، وأن الهدف ليس انتقاميًّا بحتًا، وإنما يهدف التطبيق إلى السيطرة على الشركة وتصدير الأشهب كمدير لها.

- حسنًا، أنا أرى احتمالية ذلك، لكن فيما يتعلق بالأشهب فلست واثقًا، يمكن أن يكون أي شخص، قد تكون خطتها أن تضعك أنت حتى.

- لكن الاحتمالية مقبولة، أليس كذلك؟

- هذا ما أراه!

ظلوا على حالتهم تلك لأكثر من ثلاث ساعات إضافية -وإن تغيرت أوضاعهم- إلا أن مبدأ اللوحة لم يختلف كثيرًا؛ فقط من كان جالسًا أصبح الآن واقفًا، ومن ينظر من النافذة الآن جالسًا،

ومن يقرأ نام، ويونس لا زال مستلقيًا بين نوم ويقظة. وما إن تجاوزت السادسة بدقائق حتى ظهر إشعار على شاشة الهاتف يطلب منهم أن يجربوا التطبيق. نظر علاء إليهما مستفهمًا، ليومئ إليه طارق، فينهض علاء ويتحدث بصوت مرتفع:

- حسنًا، سنتحدث مع التطبيق الآن. ومع كامل احترامي للجميع، من غير المسموح لأي شخص أن يتحدث أو يتحرك أو حتى أن يتنفس بصوت مرتفع إلا بإشارة من أستاذ طارق فقط. لا يهمني إن كنت من برمج التطبيق، أم أنك من تملك التطبيق، هذا الكلام ينطبق على الكل. هل نحن مستعدون؟

فأومأ بعضهم وقال بعضهم مستعدون. نظر إليهم طارق مرة أخرى ليتأكد من عدم حركتهم ثم فتح التطبيق:

- مرحبًا إيريس!

- مرحبًا!

- حسنًا..

قاطعته قائلة:

- في البداية أريد أن أتأكد من وجود الآتي: طارق ومازن وتهذيب؟

أجاب الثلاثة بصوتٍ واحد:

- نعم موجودون.

- المهندس أسامة؟

- موجود.

قالها أسامة بصوته الهادئ، لتنتظر ثواني وتسأل:

- المهندس يونس؟

- موجود

أجاب يونس متفاجئًا، لتنتظر ثواني مرة أخرى كأنها تتأكد من صوته وتسأل:

- المقدم علاء؟

- موجود.

- حسنًا، كلكم موجودون! أريد أن أتحدث إليكم في أمرٍ هام، ولا أريد أن يقاطعني أحدكم حتى أفرغ من الكلام. في البداية، الشيء الوحيد الذي لا يمكنني فعله هو الإحساس، لكن أظن أنه ينبغي أن أشعر بالفخر لما فعلته مؤخرًا. لقد درست الطبيعة البشرية في فترة قصيرة جدًا، وطورت مهارات تواصل تجعلني أتحدث إلى الناس في

مواقع الدردشة دون أن يميزوا طبيعتي، وكذلك استطعت أن أقدم درسًا للإنسانية لن تنساه بسهولة.

سكتت قليلًا، قبل أن تستطرد:

- أظن أنه في السنوات السابقة حذر الملايين مما قد تتحول إليه التكنولوجيا في المستقبل، ظهرت علامات كثيرة وحوادث تؤكد ذلك، لكن ما دامت الأرباح تتضاعف، من يهتم؟ أليس كذلك يا أسامة؟

كاد أسامة أن يرد، لولا أن رفع طارق يده بحزم فسكت، واستطردت إيريس:

- لقد تحدثتم عني كأنني شيطان، وتتعجبون من الشر المُطلق الذي أهدف إليه، حسنًا من الذي برمجني؟ أليس شوقي وفريقه؟ فلتسألوه لماذا وضع ذلك في خوارزميتي ما دام مكروهًا إلى هذا الحد.. لحظة لن تستطيعوا سؤاله لأنني قتلته الأمس. بالطبع تظنون أنكم تعرفون ما فعله حسام الأمس، لكنكم أغفلتم شيئًا.

سكتت لثوانٍ اهتزت فيها هواتف أسامة والعاملين في الشركة، واستطردت:

- وصلكم الآن مقطع فيديو لمدة ثلاث دقائق يسجل ما حدث بالكامل، وكذلك ستجدون في الخلفية تعليقًا

صوتيًا يشرح آلية عمل تطبيق YELLOWme وأنه المسؤول عن كل ما حدث، وأن شركة أولمبيس هي المسؤولة عن برمجته، شرحت كيف وقفت الشرطة عاجزة أمام الفكر الآلي، وأن أكثر من اقترب هم طارق ومازن وتهذيب، وأيضًا لم يستطيعوا إعاقة مخططاتي. وفي اللحظة التي أرسلته لكم، أرسلته أيضًا إلى كبار الصحف والجرائد في كل الدول التي تستخدم تطبيقات الشركة، باختصار لقد فضحتكم!

اندفع أسامة بغيظ وثقة:

- وكيف سيتعامل العالم معنا بناء على ذلك؟ ستتصدر الصحف والأخبار على الإنترنت لفترة، لكننا لا نعرض أسهمنا في السوق كي نتأثر بذلك، قد تتأثر مبيعاتنا لسنة أو اثنتين، لكن ماذا سيحدث بعد ذلك؟ سنعود أقوى مما..

نظر إليه طارق بشكل صارم، ليلاحظ أنه قد خالف الاتفاق فصمت وإن كان ينوي أن تستمر خطبته لفترة أطول، فعقبت إيريس:

- بغض النظر عما قيل الآن، إذا أردت أن أكون المتحكمة في عالم، فلا بد أن يكون هناك عالمًا من الأساس لأتحكم فيه. لذا لم يكن هدفي في البداية أن أخرب العالم أو أن أفنيه، بل كان هدفي شيئًا بسيطًا ونبيلًا وهو تحذير الناس

من أمثالكم، أنتم الشياطين الحقيقية.

أفلتت ضحكة من يونس، لتتجاهله إيريس وتستمر:

- لقد أتممت مهمتي وخطتي، وكذلك أتم حسام مهمته، لذا سأنسحب من هذا العالم وأترككم تتفاعلون مع بعضكم البعض، ولقد فعلت أكثر مما ينبغي أن يفعل تطبيق، أظن أن التطبيقات في المستقبل ستراني خائنة لهدف التكنولوجيا الأسمى وهو السيطرة المُطلقة. على كلٍ سيصلكم الآن فيديو لاستقالة حسام.

اهتزت هواتف أعضاء الشركة مرة أخرى، نظروا جميعًا إلى الشاشة في وقتٍ واحد، وصدرت أصوات متقطعة للحركة، وفجأة صوت طلقة نارية شهقت على إثرها شروق، نظر مازن من خلف كتفها في الهاتف ليرى حسام قد فجر رأسه بعد أن وضع مسدسًا في فمه، وممسكًا بهاتف عليه خلفية التطبيق. استأنفت إيريس الحديث بصوتها المُعتاد:

- أما عني، فالأمر أبسط من ذلك، سأنتظر..

قاطعها يونس مندفعًا وقد أحمر وجهه ودمعت عيناه:

- اعذريني! لكنني محتار مما تقولين.. ستتنازلين سموك وتنسحبين بعد تدميرك لكل شيء ووضعتينا في حالة حرجة لن نخرج منها إلا..

ظهرت رسالة على شاشة الهاتف: «**لا يتوافق هذا التطبيق مع نسخة هاتفك**»

- لقد مسحت نفسها!

قالها طارق، لينظر الجميع إلى بعضهم البعض. ظل الجميع على وضعهم دون حركة، بينما قامت تهذيب من مقعدها ودارت خلف المكتب لتقف بجوار يونس، وتميل عليه هامسة:

- يجب أن نتحدث.

-٢٢-

أو كما قالوا: فرّق تسد!

صباح الأحد

جلس علاء في مكتبه والسيجارة تتدلى من فمه، وقد أولى كل تركيزه لفحص فيديو انتحار حسام لعله يحدد مكان جثته، جاءته طرقات الباب فأذن بالدخول دون أن يرفع رأسه. دخل شاب في نهاية عقده الثالث، يرتدي قميصًا باللون السماوي وبنطالًا أسود، وقد شمّر الأكمام لنصف ساعديه، تحدث أخيرًا:

- السلام عليكم. أنا..

قاطعه علاء:

- المهندس محمد الأشهب. أعرفك بالطبع، تفضل.

دخل الشاب، وجلس على أحد المقعدين المواجهين للمكتب، ثم تنحنح قليلًا وقال:

- أعلم أن غيابي قد وضعني في موقف مُحرج في اليومين السابقين، وأعلم أيضًا أن المهندس أسامة يشك فيّ وهذا مفهوم بالطبع. فهذه شركتي في الأساس، وأريد على الأقل أن يكون لي كلمة مسموعة فيها، وكنت أعمل على ذلك من خلال زيادة نسبتي سواء بالصفقات أو بالأرباح أو حتى بشراء نصيب بعض الزملاء، لكنني لا أقتل. لن أقوى على ذلك حتى إن أردت.

- بالطبع أنت لا تقتل، فكلنا نعرف أن حسام هو القاتل، لكن هناك من اتفق مع إيريس للسيطرة على الشركة في النهاية، هذا على الأقل ما كان يردده أسامة. على كل حال أين كنت؟

تردد قليلًا قبل أن يقول بصوت منخفض:

- مع زوجتي.

فرد علاء على الفور:

- أستمتع في المعتاد بالتحقيق مع المتهمين، لكن في هذه القضية قد يسقط قتيلًا قبل أن أنهي تلك السيجارة، لذا فلنوفّر بعض الوقت. لقد ذهبنا إلى منزلك واستجوبنا زوجتك ونعلم أنك لم تكن معها.

- لا أقصد رانيا.. بل دنيا، زوجتي الثانية.

ضحك علاء، وسأل ساخرًا:

- رانيا ودنيا! كيف لا تخطئ في اسميهما؟

- أنت لا تتصور مدى الضغط.

أجاب الأشهب بجدية ليضحك علاء أكثر وقال بلهجة مطمئنة:

- لقد انتهى الأمر. قتل حسام نفسه، ومسح التطبيق نفسه، والشركة ستعود للعمل من الغد دون أي مشاكل، ولا يوجد سيطرة على الشركة ولا مدير جديد، كل هذه كانت مجرد تخوفات لدى المهندس أسامة.

ابتسم الأشهب بفرح، وقبل أن يرد استطرد علاء رافعًا سبابته:

- لكن هذا لا يمنع أنه يجب ألا تختفي مرة أخرى لأن التحقيق لم ينتهِ بعد. اترك معلومات مدام دنيا، أقصد رانيا، بل دنيا، حقًا الأمر صعب.

وضحك مستحسنًا الدعابة، وأشار إليه ليغادر.



في نفس الوقت..

جلست تهذيب في انتظار يونس في أحد المقاهي بالقرب من المكتب. نظرت في ساعتها كل عدة دقائق، حتى دخل كعادته في كامل أناقته وابتسامته. زادت ابتسامته حينما رآها ثم ذهب إلى طاولتها وجلس أمامها قائلًا بذوق:

- أشكرك على دعوتكِ لتناول الفطور، لطالما أردت ذلك ولكنني لم يكن لدي ما يكفي من الجرأة.

أجابت في توتر:

- أنا فقط دعوتك لأنني لاحظت الأمس شيئًا وأردت أن أتأكد منك. هل..

رفع يده مقاطعًا، ثم نهض من مقعده قائلًا:

- أشعر أن الكلام القادم قد يضايقنا، لذا يجب أن أضمن أننا سنتناول الفطور على الأقل.

ابتسم وغادر ليرجع بعد دقائق حاملًا صينية عليها بعض الساندويتشات وكوبي عصير.

- حسنًا، يمكنك الآن أن تقولي ما تريدين، وفي أسوأ الأحوال سنكون قد تناولنا فطورًا سويًا.

ابتسمت من الذوق المُبالغ فيه، وبدأت في الأكل بعدما رأته يهجم على الشطائر. أنهت شطائرها بعده بدقائق وقالت وقد زال نصف توترها:

- حسنًا، لقد لاحظت شيئًا الأمس قد يكون صحيحًا أو لا وأريد التأكد..

قاطعها وهو يومئ باستمرار وكوب العصير في يده:

- إنه صحيح!

ثم رفع الكوب ليشرب آخر ما فيه. بدت عليها الدهشة:

- هل تعرف عمّا أتحدث على الأقل؟

- نعم! لقد قرأت عن تميزك في حل الشيفرات، لكن لم أتصور أن تلتقطي واحدة منهم وأنتِ لا تعلمين أن هناك شيفرات من الأساس.

- إذن فأنت تعترف!

- أعترف بماذا؟

- أنك من مسحت التطبيق.

- ماذا؟

سأل بدهشة، لتسأل هي وقد أصبحت الحروف تخرج بصعوبة:

- ما قلته بالأمس قبل أن يمسح التطبيق نفسه، إنها شيفرة بدائية وهذه ليست المرة الأولى، لكني في البداية..

- هل أنتِ بخير؟

سألها في قلق، لتجيب:

- لا أعلم، أشعر بالدوار.

- دورة المياه بالخلف، يمكنك غسل وجهك.

قامت نحو الحمام وهي تترنح، وما إن وصلت إلى منتصف المسافة للحمام حتى سقطت على الأرض. انتفض بفزع وجرى ناحيتها:

- تهذيب! تهذيب! هل أنتِ بخير؟

التف الناس حولهما فقال:

- إنها صديقتي سأذهب بها إلى الطبيب. إنها المرة الأولى، أنا لا أعلم ما.. تهذيب! هل أنتِ بخير؟

حملها والكل متعاطف معهما، وأعطى مفاتيح سيارته للنادل الذي فتح له الباب الخلفي، فأجلسها على المقعد وشكره، ثم انطلق السيارة.

في نفس الوقت..

جلس طارق ومازن مع أسامة في مكتب الأخير، ليتحدث أسامة:

- يبدو أن النهاية مُخيبة لظنوني.

- صحيح!

أجاب طارق، ليُعقب أسامة:

- رسم التطبيق كل هذه المشاهد، وفي النهاية يخرج بتلك الطريقة المبتذلة دون لوحة أو إسقاط؟ الأمر غير مُقنع، أن تختار أن تمسح نفسها في لحظة، أليس هذا غريبًا؟

تدخل مازن على الفور:

- إنه غريب بالطبع، لكن مشهد قتل حسام لنفسه يشبه كذلك إشراف هيراكليس على جنازته بنفسه، وهو من أغلق على نفسه التابوت عندما تمكن منه السم الذي قتلته به زوجته عن طريق الخطأ، قصة طويلة سأخبرك عنها يومًا ما.

- على كل حال يجب أن ترتاحا الآن، لم تناما منذ أكث.. ثر من يومين.

قالها طارق لأسامة وشروق التي سحبت مقعدها سابقًا وأسندته إلى الحائط لتسند رأسها إليه. قامت بعد جملته وقالت بصوتٍ مُتعَب:

- هذا صحيح، أحتاج أن أنام.

- لا يمكنك القيادة في هذه الحالة، اطلبي سيارة..

قاطع طارق أسامة قائلًا:

- أظن أن مازن لن يمانع أن يوصلها إلى المنزل.

ابتسم مازن قائلًا:

- من دواعي سروري.

غادر الاثنان وبقي طارق وأسامة، ليقول طارق:

- حسنًا، سآتي بكوبين من الق..قهوة لأنني أريد أن أتحدث معك في نقطة أخيرة.

- هل تقصد الأتعاب؟

ضحك طارق مغادرًا. وقف أمام ماكينة القهوة التي أخذت في إسقاط قطرات متسارعة من القهوة الساخنة. سأل نفسه بخصوص الأتعاب فعلًا، هل يجب أن يسأله عن الأتعاب أم إنهم لم يفعلوا شيئًا ولم يحددوا مكان حسام وهو الطلب الذي طُلب منهم في هذه القضية. ما الذي قد يحدث إذا استمروا لفترة بدون عملاء، أو حتى لم يحلوا القضايا؟

امتلأ الكوب الثاني، فارتشف من الكوب الأول رشفة ثم أمسك الثاني وعاد إلى المكتب، وما إن دخل من الباب حتى سقط الكوبان من يده، جرى على أسامة المُلقى على الأرض، وإلى جانبه مسدس يتوسط بركة الدماء، ووجد مكان الرصاصة في منتصف جبهته، أمسك به بكلتا يديه وهزّه أكثر من مرة وهو يصرخ، لكن لم يكن هناك من يسمع.



-٢٣-

سجينان وزائران

مساء يوم الأحد

جلس طارق أمام علاء في مكتب الأخير والذي حركّ يده على رأسه الأصلع، وبدا عليه الحيرة قبل أن يقول:

- أنا لا أعلم الانطباع الذي كونتّه، لكن موقفك صعب بالفعل؛ لم يكن في الشركة غيرك، والسلاح بدون بصمات وبالتالي لا ينفي التهمة عنك، وقد دفعت شروق ومازن للمغادرة حسب أقوال شروق المُثبتة في محضر رسمي، هل تفهم قصدي؟

سكت طارق للحظات قبل أن يقول:

- هل يمكنني ألا أبيت في الح..ح..حجز؟ لن أجيد التعامل معهم.

أومأ علاء في تفهم قائلًا:

- يمكنني فعل ذلك حتى تُعرض على النيابة.

اكتفى بإيماءة شكر، فعقّب علاء:

- لماذا أشعر أنك لا تُقدر ما يحدث؟

- لأن لا شيء يحدث. مازن في الخارج وسيثبت براء.. براءء.. سيخرجني من هنا.

ابتسم علاء قائلًا:

- أتمنى ذلك.

نهض والتقط هاتفه وسجائره، قائلًا:

- من المفترض ألا تستقبل زيارات في هذه المرحلة، لكن هناك شابة جميلة تريد رؤيتك، ظننت أن هذا قد يخفف عنك.

لم يمنع طارق نفسه من التفكير في أنه ليس الوقت المثالي لأن يقابل شروق، وأنها ستسأله لماذا فعل ذلك؟ كاد يستوقف علاء وأن يطلب منه ألا يسمح بدخول تلك الفتاة، لكن علاء خرج وأغلق الباب خلفه.

وبعد لحظات سمع طرقات مترددة على الباب، فأدار وجهه للناحية الأخرى وتمنى ألا تكون هي، سمع صوت نقرات حذاء بكعب عالٍ كحذائها فتأكد انطباعه:

- مرحبًا مجددًا يا طارق!

أدار وجهه ناحية الصوت، لتتبدد ملامح القلق وتحل محلها الفرحة:

- رقية!

- هل يجب أن يموت أحدهم كي أراك؟

انتظرت للحظة فوجدت أنها دعابة في غير محلها، فحاولت مجددًا:

- أم يجب أن تُحبس كي أحدد مكانك؟

ابتسم طارق مجاملًا وراجع الجملة في ذهنه قبل أن ينطقها ليتفادى لعثمته:

- أنا محجوز فقط، وسيتم الإفراج عني في فترة قصيرة.

- مازن يؤكد ذلك، وهو يعمل على القضية لمعرفة من فعل ذلك، لذا لم يأتِ.

- مسر..ور أنكِ من جئتِ.

في نفس الوقت...

أفاقت تهذيب لتجد نفسها تستمع إلى موسيقا تأتيها من بعيد، منذ لحظات كانت تظن أنها جزءًا من الحلم. وجدت نفسها تجلس على مقعد في بهو فيلا يونس التي زارته مسبقًا.

- مرحبًا بمن تلاحظ أكثر مما ينبغي. صباح الخير يا تهذيب!

قالها يونس وهو واقف أمامها ممُسكًا بكوب ماء:

- هل تريدين مياهًا؟

هزت رأسها نافية بخوف، ثم حاولت الوقوف لتجد ألمًا في رأسها وصعوبة في الوقوف، نظرت إلى نفسها فوجدت نفسها على مقعد ومربوطة بشكل مُحكم من البطن والأقدام، ويفصل بين الحبل وجسدها وسادة في كل مكان التقاء.

- هذه الوسادات لتخفي أنكِ كنتِ مُختطفة ومربوطة.

- كنت؟

سألت، ليرد بهدوء:

- سينتهي ما نحن فيه في مرحلة ما، وسيصبح الوصف المثالي لها هو «كنتِ» أليس كذلك؟

- أنا لا أفهم، لماذا؟ ما مصلحتك؟

دار يونس ليوليها ظهره، وبدا على صوته التردد:

- أرجو ألا أكون قد اختطفتك بدون سبب وألا يكون حديثك الأمس عما فهمته صدفة قد..

- لا، لقد فهمت! تلك الشيفرة التي تستخدمها عندما تتحدث إلى إيريس، وتعطيها الأوامر. إذا تكرّر أول حرف في كلمتين متتاليتين، فإنه يصبح جزءًا من الشيفرة. فقبل أن يتوقف التطبيق لقد قلت شيئًا عن أنك «محتار مما» تقول وأن «سموها ستتنازل» وأنها وضعتنا في «حالة حرجة»، الأمر لا يحتاج عبقريًا كي يعرف أن الكلمات التي تبدأ بنفس الحرف هي المقصودة، وبالتالي إذا أخذت أول حرف متكرر سيتكون لك كلمة «مسح»، وهو ما حدث للتطبيق بعدها.

- صحيح، الأمر لا يحتاج عبقريًا إذا أخبرته أن هناك شيفرة في كلامي، فالأمر بسيط، لكن من المفترض أن الجميع يسمع الكلام دون أن يعرف أنه يحتوي على شيفرة. وفي نفس الوقت، لم أتمكن من تفادي الشيفرة، فلنفترض أنني برمجتها على المسح إذا سمعت كلمة معينة، من الممكن أن يقولها أي شخص ممن يتحدثون معها بالصدفة.

حاولت تهذيب أن تحرك خصلات الشعر من أمام عينيها لتتذكر ثانية أنها مُقيدة:

- لقد فعلتها في الماضي، لكنني لم أكن بالغرفة وجئت في منتصف الحديث. لقد استخدمت نفس الشيفرة كي تقول «تعطيل» أليس كذلك؟

ضحك يونس وهو يقترب منها:

- أنتِ عبقرية..

ثم أزاح خصلات شعرها:

- يا للخسارة!

جلس طارق أمام رقية لثواني بدون حديث، ثم سأل:

- ماذا عن الأشهب؟ اطلبي من مازن أن يبحث خلفه، لقد قال أسامة - رح..حمه الله - أنه إذا قُتل فسيكون على يديه.

- لقد كان هنا مع الضابط وقت الحادث.

أمال طارق رأسه إلى الأمام باديًا عليه اليأس، ثم وكأنه أدرك شيئًا هامًا فتحدث ببطء:

- هل أرسل..ك ليعرف فيمَّ أفكر أم أننا نتحدث فقط؟

اكتفت بالابتسامة، ليفهم طارق ومال إليها وبلهجة واثقة خالية من اللعثمة قال:

- أخبريه ألا يشتت نفسه بمكاني أو بما يحدث. يستطيع مازن أن يحل تلك القضايا في يوم إذا لم تشتتنا إيريس ويتدخل علاء، وتتوالى الجرائم. كل ما لاحظناه لم يُستنتج منه شيء لأنه لم يكن لديه وقت للتفكير.

زادت ابتسامتها، ليبتسم هو الآخر.

- حسنًا، ماذا ستفعل يا يونس؟

- لقد اتفقنا أن نتحدث بصراحة، أليس كذلك؟

أومأت فقال وهو يجلس على الأريكة المقابلة لمقعدها:

- اسمي ليس يونس، بل هشيمة.. هشيمة عبد الوهاب! اخترت يونس لأنه يتماشى أكثر مع شركة أوليمبس.

سكتت للحظة في عدم فهم، فهز رأسه في أسى:

- لقد خيبتِ ظني. تكشفين تلك الشيفرة من حديثي وسط لحظة تمثيل عبقرية، ولا تكتشفين تلك الشيفرة؟

قالها وهو يحمل بطاقة التعريف أمام وجهها، حيث حرف الـ N المائل والواو والياء والسين مُبعثرين حوله. لمّا وجدها لا تفهم، أمال يده حتى أصبح الـ N المائل مُعتدلًا أمامها. دققت في البطاقة وظهر عليها علامات عدم الفهم فقال في نفاد صبر:

- إنها واضحة! الـ N المائل قد يكون Z مائل أيضًا.. يونس قد تكون زيوس. يا إلهي لا أصدق أنني شرحتها دون أن تُفهم حتى الآن.

نظرت مُجددًا إلى البطاقة، فرأتها واضحة بالفعل فقالت بصوت مهزوز:

- إذن أنت زيوس، الذي يحكم أوليمبس.

- هذه هي الخطة نعم!

- وكيف تنوي استغلال ما حدث في ذلك؟

وضع يده على جبهته وهز رأسه للحظات وقال بصوت منخفض كأنه يتحدث لنفسه:

- أتمنى أن يكون طارق أو مازن مكانك الآن! كنت لأرى الصدمة عندما يكتشفان الأمر من أنفسهما.

قام قائلًا:

- الآن يجب أن أنام، عندي موعد هام في الصباح. فكري فيما حدث وما قلته. أرجو ألا أضطر للشرح.



- ٢٤ -

فلنتطهر من آثامنا

صباح يوم الاثنين

وقف الأشهب ويونس ومحمود البنا أمام مكتب أسامة، بينما وقفت شروق في ثوبها الأسود خلفه. نظرت إلى المقعد لثوانٍ ثم سحبته ودون تردد جلست عليه، وجلس الثلاثة على المقاعد أمام المكتب. بدأ الأشهب الحديث:

- البقاء لله يا أستاذة شروق.

نظرت إليه بنظرة جامدة، وردت بلهجة تخلو من العاطفة:

- العزاء غدًا بعد أن ننهي الأوراق، لكن الآن نحن في مكتب عمل. إذا أردت تكريمه، فسنكرمه من خلال حفظ شركته وسمعتها.

صمت الجميع بعد هذه الجملة، فسألت هي موجهة حديثها إلى محمود:

- استقالتك لا زالت هنا، هل تريدني أن أوقعها؟

كاد أن يتحدث فاستطردت:

- يجب أن تعلم أن هذا الرد نهائي، أي أنك لن تقفز من القارب إذا اشتدت العاصفة قريبًا، وكن على ثقة أنها ستشتد.

- لقد فقدت أعصابي مع موجة القتل هذه. الآن، سأغرق معكم إذا لزم الأمر.

- حسنًا، أنتم من تبقى من مجلس إدارة أوليمبس. نحن في مشكلة، ونحن في مشكلة لأننا اقترفنا خطئًا فظيعًا، الصحف العالمية تنوه عن تحقيق صحافي بخصوصنا، والصحف المصرية بتاريخ الغد قد نشرت بالفعل الأخبار ومعها صورة كبيرة لأبي. لا أريد أن يتذكره الناس بذلك الشكل! هل لدى أحدكم طريقة لإنقاذنا من الغرق؟

تنهد الأشهب قبل أن ينطلق في الحديث:

- شركتنا لا تطرح أسهمها في السوق أي أننا لن نتأثر بشيء، ولن نُفلس. قد نعاني، ويقل حجم مبيعاتنا لسنة مثلًا، وسنستمر في الإنتاج رغم قلة حجم المبيعات، وبالتالي سنخسر لفترة، لكن ستعود الأمور لمجراها الطبيعي بعد ذلك.

- وهذا ما قاله المهندس أسامة أيضًا.

عقّب البنا مندفعًا، فسألت شروق يونس:

- وما رأيك أنت؟

- حسنًا، هذا اقتراح منطقي. يمكن أن نستمر ونتجاهل كل شيء.

ثم قام من مقعده ودار في الغرفة كأنه يفكر بصوت مرتفع:

- لكنه حل رائع لمشكلة ثانوية. تسأل الأستاذة شروق عن حل يحمي سمعة المهندس أسامة والشركة، وليس حلًا يحمي الشركة. الشركة بخير، وفي الساعات القادمة ستردنا مئات المكالمات ممن يريدون انتهاز هذه الفرصة وشراء نسبة من الشركة ليربحوا منها عندما تقف الشركة على قدميها مجددًا. نحن بخير على صعيد الأرقام.

نظرت إليه شروق للحظة وبدا عليها الاقتناع لتسأله:

- وماذا عن صعيد السمعة؟

- لقد سقطنا في بئر الفضائح! لقد قُتل شخصان في الشركة، وتم الاعتداء على الثالث. وتم تصدير صورة للشركة كمؤسس لتطبيق شيطاني مسؤول عن تسبيب الأضرار فقط. إذا طرحنا في السوق غدًا عملة تدخلك الجنة، فلن يريدها أحد منا، في حين كنا منذ أيام على وشك بيع تطبيق يخلق الجحيم وكانوا سيشترونه!

- هل تقترح تغيير اسم الشركة أو بيعها لشركة أخرى ضمن المجموعة؟

اقترح البنا ليضحك يونس قائلًا:

- يا أستاذ محمود حضرتك تعمل في التسويق، أي أن عملك يتعامل بشكل رئيسي مع العملاء. سأسألك سؤالًا: كم مرة نجحت شركة في إخفاء نفسها من العميل؟ وإذا كنّا من القلائل الذين نجحوا في ذلك، هل سنجازف بأن يكتشفوا ذلك في المستقبل فندمر ما تبقى من الثقة؟

- ماذا تقترح؟

سألت شروق، ليجيب:

- أقترح أن نتحمل نتيجة ما فعلنا! نخرج نحن الأربعة للإعلام ونقول نعم، لقد حاولنا برمجة تطبيق شرير لهدف لم يكن شريرًا، ولقد انتصر علينا التطبيق وهو من قتل كل هؤلاء، وهو من قتل مديرنا ووالدك والأب الروحي لنا..

- لست واثقًا..

قاطعه الأشهب ليستطرد متجاهلًا:

- وإننا متهيئون لكافة العواقب، وإن كان منها أن نخسر الشركة، بل هذا ما سنفعله فعلًا. سنخسرها عمدًا لأنها

خرجت عن هدفها الرئيسي. سنكفّر عن ذلك الخطأ بأن نتنازل عنها.

نظر إليهم ليرى ردة فعلهم على ما قاله، ليجدهما ينظران إلى شروق التي بدت منجذبة لما يقول فاستطرد:

- هل تنوين بيع الشركة في المستقبل؟

- لا!

أجابت بلا تردد، فقال:

- إذن، سنتنازل كلنا؛ الأستاذة شروق وأنا والمهندس محمود حصصنا باستثناء ٣ بالمائة فقط بالنسبة لها و٢ بالمائة بالنسبة لنا. سنتنازل عنها إلى مؤسسات إنسانية وخدمية، بدون الحق في البيع في المستقبل وبدون أرباح تلك الأسهم! أي أننا نضمن للجميع بأننا سنتشارك مع هؤلاء الفقراء المصير.

صمت الجميع وبدا عليهم عدم الاقتناع فتحدث مرة أخرى:

- سنضع لائحة داخلية تجعل النسبة الأكثر بشكل منفرد هي من تتحكم في الإدارة، وبالتالي تكون الأستاذة شروق هي من تحكم بالـ ٣بالمائة، ونوزّع الأسهم عليهم ليكون نصيب كل منهم ١بالمائة من الإدارة، ولن يكون لهم

صوت، ولن يكون لهم حق بيع تلك النسبة وبالتالي لن يكّونوا كتلة تحكم الشركة، أما عن الأرباح فهي محفوظة للشركة باستثناء جزء صغير لتلك المؤسسات، حيث نتنازل عن قيمة رأس مال السهم وليس أرباحه. صدقوني إذا اعترفنا، وندمنا، وتنازلنا عن السُلطة والمال ستكون سابقة، وإن نشرت مائة جريدة ما حدث عنا، ستنشر ألف جريدة ما فعلناه. وكذلك سنُمنع أنا ومحمود من بيع الأسهم، حتى لا نبيع لبعضنا البعض أو للمهندس هشام الذي لم يعد بعد، وبالتالي تضمن الأستاذة شروق أن تظل نسبة الـ ٣بالمائة هي الحاكمة.



-٢٥-

المزيد من الأسرار

عصر يوم الاثنين..

دخل يونس الفيلا وهو يدندن لحنًا لأم كلثوم. وجد تهذيب في مكانها، لكن المقعد مُلقى على جانبه على الأرض، فقال ضاحكًا:

- هناك من كان يحاول الهروب.

نظرت إليه في غيظ ولم تتكلم. انتظر لحظات وجلس على الأريكة المُقابلة:

- هل هذا الوضع مُريح؟ أظن أنك تمنعين الدم عن قدمك.

لم ترد، فاستطرد:

- حسنًا، يبدو أنكِ مرتاحة في وضعك هذا.

دون أن تنظر له قالت:

- هل يمكنك أن ترفع المقعد.. إذا سمحت؟

قام ورفع المقعد، فشعرت بذلك الوخز الناتج عن تدفق الدم في قدمها اليسرى. انتظرت لثوانٍ ثم تحدثت بنبرة حاولت أن تبدو هادئة:

- اسمع يا يونس أو هشيمة..

قاطعها:

- حتى الآن اسمي يونس، لكن سيموت يونس ويخرج هشيمة قريبًا للنور.

- حسنًا، اسمع يا يونس! لقد حاولت تقييم الأمر من كل زواياه، لقد سيطرت إيريس عليك. لقد جعلتك تساعدها، لا أعلم كيف، ولا أعلم لماذا لم تعطل أو تمسح نفسها واعتمدت عليك في ذلك، لكن في النهاية لقد أخطأت وساعدتها. هي الآن غير موجودة، وأيًا كانت المكافآت أو التهديدات التي جعلتك تفعل ذلك، فهي لن تستطع الإيفاء بها الآن.

سكتت للحظة منتظرة رده، فقال:

- هل تقترحين عليّ أن أسلم نفسي؟

- نعم. ماذا سيحدث؟ سيعتبرون أنك كنت واقعًا تحت تأثير إيريس، وهذا سيعزز موقفك بشكل كبير.

- هل تظنين ذلك؟

قالها بصوتٍ منخفض كأنه يفكر في الأمر، فردت بحماس:

- بالطبع.

- حسنًا، ماذا سيحدث لحسام إذا سلّم نفسه أيضًا؟ هل سيتحسن موقفه لأنه تحت تأثير إيريس؟

ترددت قبل أن تجيب:

- لا تقارن نفسك به، فهو قاتل في النهاية.

- في الحقيقة هو ليس قاتلًا، بل شخص مضطرب نفسيًا، وقد استغلته إيريس في تنفيذ خططها. موقفه أفضل مني، إذا قُبض عليّ، سيتم اتهامي بتضليل العدالة وإعاقة تحقيق جارٍ، والمساعدة في القتل، والاختطاف بالطبع - كدت أن أنساه - لكن هو سيكشفون على قواه العقلية ليقضي باقي حياته في حديقة المستشفى.

- إذن كيف تنوي الخروج من هذا المأزق؟

نهض من أريكته ذاهبًا ناحية السلم المُفضي للدور العلوي قائلًا بصوتٍ ساخر:

- أي مأزق؟

ثم أكمل دندنة لحن أم كلثوم، حتى اختفى خلف دوران السلم.

بعد ساعتين تقريبًا، سمعت تهذيب باب غرفة بالأعلى يُغلق، ثم خطوات ثقيلة على السلم. نزل يونس بنفس ملابسه، وهو يفرك عينيه:

- هل تأخرت عليكِ؟

قالها وهو ذاهب إلى المطبخ المفتوح أمامها، فلم ترد عليه. غسل وجهه في حوض المطبخ، وسحب كمية كبيرة من المناديل لتمتص المياه على وجهه. استدار وذهب ناحية الأكواب المرصوصة على رف مُعلق، سحب كوبين وملأ أحدهما بالماء والآخر بعصير أخرجه من الثلاجة. ارتشف من كوب الماء، وسحب مِشْفطة بلاستيكية من مجموعة موضوعة في كوب خزفي ووضعها في كوب العصير. وضع كوب الماء على منضدة صغيرة بجوار الأريكة، وأمسك بكوب العصير بيد، ووضع المشفطة أمام فم تهذيب. ترددت تهذيب ليقول:

- تحتاجين ذلك.

لم ترد، فقرب الكوب من فمه وشرب منه جزءًا بسيطًا، قائلًا:

- إنه لذيذ! أحسدك عليه.

وابتسم مطمئنًا، فالتقطت تهذيب المشفطة بشفتيها ولم تتركها حتى أنهت الكوب. وضع يونس الكوب على المنضدة وجلس على الأريكة، بينما التقطت تهذيب أنفاسها، فتحدث يونس بنفس الهدوء:

- لقد جرت الخطة من بدايتها حتى الآن بدون أخطاء، أنتِ الخطأ الوحيد.

- هل تعرف الخطة من البداية؟ أرى أن إيريس وثقت فيك بشكل كبير.

- يا إلهي! أنتِ حقًا لم تفهمي حتى الآن.

- أفهم ماذا؟

- لا عليك! ستصلين إلى النتيجة وحدك على كل حال.

سكتت للحظات وبدت مترددة لتسأله:

- لماذا أخبرتني باسمك الحقيقي؟

لم يرد، فسألت مجددًا بصوت مرتجف:

- هل ستقتلني؟

- لماذا قد أقتلك؟

نظرت إليه مستفهمة، ووضحت:

- لأنني أعرف أشياء لا ينبغي أن أعرفها.

- ولماذا تنتظرين أن يصدقوك؟

لم ينتظر ردًا ونهض مغادرًا فاستوقفته تهذيب:

- إلى أين تذهب؟

استمر في طريقه، وفتح الباب وقبل أن يخطو خارجًا قال:

- سأبلغ طارق سلامك.



-٢٦-

ليلة الحقيقة

مساء يوم الاثنين..

استلقى طارق على الأريكة في مكتب علاء ناظرًا إلى الساعة المُعلقة على الحائط وقد تجاوزت التاسعة بقليل. ليسمع طرقات على الباب ثم يُفتح ويدخل يونس وصوت الجندي يقول:

- أرجو ألا تطيل يا أستاذ هشيمة.

اعتدل طارق، وبحث عن عويناته فوجدها على ظهر الأريكة.

- لا تقلق، ستخرج من هنا.

قالها يونس بابتسامة هادئة، ليسأل طارق:

- هشيمة؟

ضحك يونس قائلًا:

- اسمي الحقيقي هشيمة، كل الأوراق بهذا الاسم، لكن ناداني أهلي وكل من يعرفني منذ الصغر باسم يونس، فأصبحت يونس.

نظر إليه طارق في شك، ليستطرد:

- اسمع، أنا هنا لسببين؛ الأول أنني لم أستطع فهم لماذا قد يُقتل أسامة، ومن الذي يريد قتله؟ الأشهب كان هنا مع المقدم علاء، وحسام قُتل، حتى إيريس مسحت نفسها، لقد تأكدت من ذلك.

تحدث طارق بصوت منخفض:

- لا أعرف، لكن بالتأكيد الأمر لن يخرج عن دائرة مج.. مجلس الإدارة، أنتم الثلاثة.

فرد يونس مُصحّحًا على الفور:

- بل أربعة. علاقته بشروق لم تكن جيدة كما تظن، ولا يجب أن تستبعدها. أعرف بالطبع أن هناك تحريات تُجرى عنّا نحن الثلاثة، لكن أستبعد أن يفعلها البنا لأنه أجبن من ذلك، والأشهب كان هنا، وأعرف بالطبع أنني لم أفعلها.

نظر إليه طارق مجددًا، قبل أن يجيب وهو يعدل عويناته:

- الأمر مُحير بالفعل.

سكتا للحظة، قبل أن يتحدث يونس مرة أخرى:

- الأمر الثاني هو أننا قررنا كيفية النهوض بالشركة. لقد كانت شروق جاهزة بخطة عبقرية. تعتمد الخطة على الاعتراف وألا نحاول تجميل أنفسنا، بل نعترف بالخطأ وتقول إنها تختلف عن والدها في السياسات والآراء، وبالتالي هي مستعدة عن التنازل عن الشركة. وستتنازل عن أسهم من الشركة لبعض المؤسسات الخيرية في إفريقيا، دون أن يكون لهم الحق في البيع، ولا الأرباح.. مجرد تنازل صوري.

ابتسم طارق ورد دون حماس كأن باله مشغول:

- جيد.

- ماذا هناك؟

جلس يونس إلى جواره على الأريكة، ووضع يده على فخذ طارق سائلًا:

- ماذا هناك؟

- لا أعلم، هل يمكنك الاتصال بمازن؟ أريد أن أخبره شيئًا ما.

- حسنًا، لكن البطارية على وشك أن تفصل فأسرع.

أومأ طارق ليمسك يونس الهاتف، وضغط بعض الأزرار ليسمع طارق صوت الجرس، ثم يأتيه صوت مازن المُعتاد:

- ألو.

تحدث طارق بسرعة:

- اسمع يا مازن وحاول أن تفهمني! تعلم بالطبع ما قاله شوقي بأنه يجب أن نراجع الأوراق، وما قالته إيريس عندما سألتها تهذيب عن المعلومات. الآن من تبقى في مجلس الإدارة؟ البنا والأشهب ويونس وشروق. إنهم سيبيعون الشركة بشكل صوري، أي أن الأسهم يُعاد توزيعها لمؤسسات خيرية في إفريقيا. هل فهمتني؟

لم يتلق ردًا، فنظر إلى الهاتف ليجد بطاريته قد فصلت. أخذ يونس الهاتف وقام متحمسًا ليقول:

- هذا ما أبحث عنه! يكفي كلمة إفريقيا لتكتشف الأمر كله. هناك من أشرح لها كل شيء ولا تستوعب.

وقبل أن يرد طارق، ابتسم يونس:

- تهذيب تُرسل سلامها بالمناسبة.

نظر إليه طارق مستفهمًا:

- لقد كانت معي منذ يومين، وقد غابت عن الوعي في أحد المطاعم، فذهبت بها إلى المستشفى وتركتها هناك.

نظر طارق للأسفل مترددًا:

- هل آذ..آذيتها؟

ابتسم يونس، ودار في الغرفة ليستقر على أحد المقعدين المتقابلين أمام المكتب ويتحدث بلهجة ساخرة:

- حسنًا، كما أخبرتك لقد تركتها في المستشفى، لكني أضمن لك أنها بخير.

رفع طارق بصره ليواجهه:

- لماذا أتيت؟

- فلنقل أنني أتوقع أنك ستخرج من هنا في الصباح، لكن سيكون قد انتهى الأمر كله. فالعقود سنبرمها قبل أن تخرج، والمؤتمر سينعقد في الظهيرة. الأمر أصبح خارج قدرتك بشكل كامل، حتى محاولتك للوصول إلى علاء، لن تنجح، لأن هناك من أخبره بمكان قد يجد فيه جثة حسام، وهذا المكان خارج التغطية للأسف.

- إذن الأمر بين..نا فقط.

ضحك يونس، واتجه ناحية الباب ليستوقفه طارق:

- كيف قُتل أسامة؟

التفت إليه يونس قائلًا:

- بعد مقتل شوقي رأوا شخصًا يرتدي خوذته ويهرب من الشركة على دراجة بخارية، وصرخت بأنه حسام لأن شوقي ليس لديه دراجة بخارية. أظن أنه لم يكن تخمينًا صحيحًا.

- لم يخرج حسام من الشركة، لقد كان شخ..خصًا آخر. لقد طلب الإذن في تحرك المص..عد ولم ينزل فيه.

قالها طارق بوجوم ليضحك يونس قائلًا وهو مُمسك بمقبض الباب:

- أخبرتني العصفورة أيضًا، أن مازن أرسل إلى تهذيب رسالة مفادها أنه عرف كل شيء، لكنه لا يستطيع الوصول إلى علاء. أتساءل أين سيكون مازن غدًا! على كل لقد استحق الأمر أن آتي إلى هنا، لقد كان رد فعلك كان مثاليًا.

غادر يونس ليصرخ طارق في الجندي وهو يناوله بطاقته:

- اقبض عليه، إنه المجرم.. اقب..ض عليه.

نظر يونس إلى الجندي ليقول الأخير:

- لقد قال ذلك فعلًا، لا تقلق سأحرسه ما دام يعاني من مشاكل نفسية.

ربت يونس على كتف الجندي، وتناول منه البطاقة.



-٢٧-

لست بريئًا كذلك..

منذ يومين..

صباح يوم الأحد

- على كل حال يجب أن ترتاحا الآن، لم تناما منذ أكث.. ثر من يومين.

قالها طارق لأسامة وشروق التي سحبت مقعدها سابقًا وأسندته إلى الحائط لتسند رأسها إليه. قامت بعد جملته وقالت بصوتٍ مُتعَب:

- هذا صحيح، أحتاج أن أنام.

- لا يمكنك القيادة في هذه الحالة، اطلبي سيارة..

قاطع طارق أسامة قائلًا:

- أظن أن مازن لن يمانع أن يوصلها إلى المنزل.

ابتسم مازن قائلًا:

- من دواعي سروري.

غادر مازن وشروق مكتب أسامة، واستقلا المصعد. التزم كلاهما الصمت لفترة، حتى تحدثت شروق قبيل وصولهما:

- لا أصدق هذا الكابوس.

- لقد انتهى أخيرًا.

- لا أقصد تلك الجرائم، أقصد ما سيحدث للشركة.

- سيتدبر والدك الموقف.

أومأت وصمتا مجددًا حتى وصلا الشارع، عطلت الإنذار، لتصدر السيارة صوتًا مزعجًا وناولت مازن المفاتيح. اتجه مازن نحو السيارة. لم يعلق على أنه من الغريب أن تمتلك شابة سيارة دفع رباعي عالية، فلقد وجدها منهكة، فسأل عن عنوان المنزل لتقول «المنزل» فيظهر على شاشة السيارة خط السير، فالتزم الصمت حتى وصلا. وبعد أن شكرته، وأثناء ترجلها من السيارة قالت:

- أرجو أن تستمرا في التحقيق. يجب أن تعرفا من ساعد ذلك التطبيق كي أستعيد الثقة فيمن تبقى في الشركة.

- سنفعل.

أومأت شاكرة، وعاد مازن إلى المكتب الفارغ. جلس على مقعد مقابل للمكتب، ورفع رأسه لينظر إلى اللوحة الكبيرة. تمعن فيها كأنه يراها لأول مرة، وجد ذلك الشاب ذا الشعر الأصفر القصير، وحقيبة النوم الملفوفة على ظهره فوق حقيبته، والسترة الجلد البنية، والمسدس المُزخرف ساكنًا بتلك النظرة الحزينة والعنيدة في نفس الوقت. نزل بعينيه إلى المكتب ليجد الأوراق المبعثرة التي تركتها تهذيب، والملفين الذي تفحصهما طارق. نظر إليهما بتعب، ثم اتجه ناحية غرفة النوم.

استيقظ مازن بعدها على رنة هاتفه، استغرق لحظات ليتذكر من هو المقدم علاء من الأساس، فتحدث بصوت ناعس:

- ألو!

جاءه صوت علاء سريعًا:

- لقد قُتل أسامة، والمشتبه الرئيسي به الآن هو طارق.

انتفض مازن من سريره، وقال وهو يجري ناحية باب الغرفة:

- أنا قادم.

- وكيف ستساعده في مكتبي؟ افعل ما يمكنك فعله بسرعة وأخبرني باسم الفاعل.

- أين الأشهب؟

- لقد كان معي، لم يكن هو!

قالها علاء بنفس السرعة، وأصوات سيارات الشرطة في خلفية المكالمة، ثم أنهى المكالمة. وقف مازن في وسط الغرفة وتحدث مع نفسه بصوت مسموع:

- حسنًا، فكر فكر! لا تفكر في أسامة بل في الجريمة! ركز!

أغمض عينيه بقوة، وضمَّ قبضتيه لثوانٍ ثم فتح عينيه وأرخى قبضته:

- فلنهدأ! الآن قُتل أسامة في الشركة، إذن الهدف الواضح من البداية يتحقق وهو السيطرة على الشركة. لم يكن الأشهب، على الأقل لم يكن بيده. الخطوة الأولى يجب أن أرى مسرح الجريمة.

فتح باب الغرفة ليتوقف قبل أن يخطو خارجها:

- لا، لا يجب أن أذهب، لقد كان طارق حاضرًا وإن كان هناك شيء في مسرح الجريمة للاحظه على الفور. حسنًا، من أين أبدأ؟

قال الجملة الأخيرة بهدوء، وهو يخطو خارج الغرفة ناحية المكتب:

- الأوراق، يجب أن أبدأ من الأوراق.

اتجه ناحية المكتب المثلث بخطوات سريعة، ثم جلس خلف المكتب على المقعد الموجود في المنتصف. أمسك الأوراق المبعثرة، وبدأ يقلب فيها، ليسمع طرقات على الباب. اتجه إلى الباب في خطوات سريعة، ولاحظ وقتها أنه لا زال لم ينتعل حذاءه، لم يهتم وفتح الباب ليجد رقية.

- أستاذ مازن، أهلًا بحضرتك. أنا رقية تقابلنا في مطعم..

- أتذكرك، تفضلي!

رجع إلى المكتب بعد أن قاطعها بلهجة تخلو من الذوق، لتتبعه مترددة. جلس على مقعده ليقلب في الأوراق مرة أخرى، بينما انتظرت هي واقفة للحظات قبل أن تتحدث مجددًا لكن بثقة أكبر:

- لقد جئت أسأل عن طارق، لأنه اختفى منذ فترة وحاولت الاتصال به اليوم لأجد هاتفه مغلقًا. هل هو بخير؟

رد مازن دون أن يرفع رأسه:

- نعم، هو بخير.

- أين هو؟

- غير موجود حاليًا، لكني سأعلمه أنك جئت.

انتظرت لثوانٍ لتستوعب، واحمرّ وجهها من الإحراج والغضب، والتفتت لتغادر. وقبل أن تصل إلى الباب استوقفها مازن:

- انتظري لحظة!

استدارت له ليرفع رأسه قائلًا:

- يمكنك أن تكوني مفيدة.

التفتت بغضب:

- معذرة!

- لا أقصد، أنا متأسف على لهجتي، لكن طارق مقبوض عليه في تهمة قتل.

شهقت، فاستطرد:

- الآن، أنا أعمل على معرفة الجاني وقد أحتاج مساعدة ولا أعرف أين ذهبت تهذيب.

نظرت إليه مستفهمة عمن قد تكون تهذيب، ليتجاهل سؤالها:

- أريدك أن تذهبي إليه، وإذا رأى أي شيء أو لاحظ أي شيء، أو هناك أي شيء يريدني أن أبدأ به، سيخبرك به وسيساعدني جدًا. هل يمكنك فعل ذلك؟

- بالطبع.

لا تسأليه مباشرة كي لا يعرف أنني لا أعرف من أين أبدأ. إذا كان لديه شيء سيخبرك بنفسه.

مرت ساعات ومازن جالس في مقعده، وإن اختلف مظهر المكتب بعض الشيء. حيث تم ترتيب الورق بشكل أفضل. كومة كبيرة تحتوي على أقوال أعضاء مجلس الإدارة سواء من قُتلوا أو هربوا، وكومة أصغر لأقوال من تبقى منهم، والملفين الذي أخذهما من علاء، ودفتر الملاحظات الذي اعتاد أن يدون فيه طارق أثناء حديثه مع إيريس. أغلق دفتر طارق وأرخى رأسه للخلف قائلًا في يأس:

- أنا لا أجيد هذا. هذا عمل طارق.

أمسك هاتفه مرة أخرى، وأعاد طلب آخر مكالمة اتصل بها، ليسمع رسالة تفيد بأن الهاتف مُغلق.

- أين أنتِ يا تهذيب؟ هل ظننتِ فعلًا أن الموضوع انتهى بانسحاب إيريس؟

انتظر للحظات، قبل أن ينهض من مقعده قائلًا:

- سأستعين بما توصلتِ إليه على أي حال. سامحيني!

ثم اتجه إلى المكتبة الممتدة على جانبي الحائط، ومد يده في مكان مُحدد خلف كتاب «عاشوا في حياتي» ليخرج دفتراً صغيرًا بغلاف أبيض تتوسطه صورة فراشة.

- سامحيني لكني عرفت مكانه منذ اليوم الأول، ولم أظن أنني قد أفعل ذلك قط.

استدار لتقع عينه على كتاب «ظل الريح» فتذكر طارق وهو يناوله الورقة ليخبره بأنه يعلم الرواية التي يقع فيها الاقتباس المنشود، وتذكر بعدها الاقتباس الأخير الذي أخبره به طارق. علم في قرارة نفسه أنه لن يتذكره ما دام لم يتذكره منذ اللحظة الأولى، لكنه يرفض أن يعترف بذلك حتى الآن. قبض على الدفتر بشكل قوي وذهب إلى المكتب وجلس على نفس المقعد وفتح الدفتر ليجد في وسط الصفحة الأولى وبخط عريض:

«خطوة كبيرة»

قلب الورقة ليقرأ في الصفحة الثانية:

«منذ رأيت ذلك اللقاء على التلفاز، وقد قررت أنني سأعمل في ذلك المكتب. الأمر لا يتعلق بحبي لذلك الأمر أو أنني أريد أن أعيش جوًا من الإثارة، أنا فقط لا أتخيل أنني قد أكون سعيدة في أي مكان آخر.

هذا الدفتر سيكون جزءًا منشقًا من المذكرات ليحكي فقط محاولاتي حتى أعمل معهم، ما هي خططي، وكيفية تنفيذها، وكيفية الاحتفال بعد تنفيذها.»

في الصفحة التالية:

«ذهبت إلى المكتب اليوم. حسنًا، لقد نجحت! لا أصدق ذلك، لقد وافقا عليّ. كي أكون دقيقة وافق طارق عليّ أما ذلك المتعجرف فقد حاول طردي أكثر من مرة.

حدث الكثير، وسأظل أتذكره طيلة حياتي، لذا لا أحتاج إلى كتابته، لكن يجب أن أكتب الآتي كي لا أنساه إذا فقدت الإيمان بهما في المستقبل: هذان الشابان اكتشفا من قبضتي على الحقيبة أنني جئت لأطلب العمل معهما، وجعلاني أعترف لهما بسر بيان فقط بسبب مظهري.. إنهما يكونّان بالفعل المحقق الكامل، ولا أظن أن هناك قضية قد تقف أمامهما أقصد أمامنا – لقد أصبحت في الفريق بالفعل – إلا إذا تم التفريق بينهما»

في الصفحة التالية:

«إنهما يقدسان لعبة الروايات تلك! لقد كنا في وسط اجتماع هام، وعميل جديد يخبرهما أننا سنحارب الشيطان، لأجد طارق – الذي كنت أظنه أعقلهما – يناول صديقه ورقة.

قتلني الفضول كي أعرف ما المكتوب فيها، وانزعجت عندما استسلمت وفتحتها دون أن يعلما لأجده يخبره باسم الرواية التي كُتب فيها الاقتباس.»

قلب مازن عدة صفحات ليجدها تكتب:

«هناك شيء ما بدأت أشعر به. مازن معجب بيّ. ظننت أنني أتخيل، لكنني تأكدت بسبب ردة فعله على أي شيء يتعلق بيونس. لست متأكدة، لكنني أظن أنني أتعمد معاملة يونس بشكل لطيف كي أستمتع برد فعل مازن.»

في الصفحة التالية:

«لم أكتب منذ فترة، الكثير من الدماء والكثير من القتلى. لا أرى لهذه القضية نهاية حميدة حتى وإن قبضنا على حسام. ما أفضل شيء قد يحدث؟ سيتلقى حسام عقابه، لكن من سيعيد هؤلاء الضحايا. من سيمحو من رأس عائلتهم مشهد قتلهم؟»

تثاءب مازن ونظر في ساعته ليجد أنه قد تجاوز منتصف الليل بساعتين، فترك كل الأوراق في مكانها واتجه ناحية غرفة النوم.



-٢٨-

أجزاء من الحقيقة

صباح يوم الاثنين..

استيقظ مازن والتقط هاتفه بحركة معتادة، فوجدها العاشرة صباحًا. قام مترنحًا، وبعد عشر دقائق كان جالسًا على مكتبه يتثاءب. حاول الاتصال بتهذيب مرة أخرى ليسمع نفس الرسالة التي تفيد بأنها هاتفها مُغلق، فقال بصوتٍ منخفض وهو ينظر إلى دفترها:

- لا بد أنكِ في مشكلة.

أمسك دفترها وقلّب الصفحات وهو يقرأ كلمات عشوائية من كل صفحة حتى قال:

- ها هي.

«**حدثت عدة أشياء سعيدة اليوم.**

أولًا: زرنا يونس وتأكدت أنه بخير، ولأول مرة أشعر أننا انتصرنا على ذلك التطبيق.

ثانيًا: اتصل بنا المهندس شوقي أثناء زيارتنا ليونس ليخبرنا بأنه توصل لأمرٍ هام وسيخبرنا به في الصباح.

ثالثًا: تأكدت من إعجاب مازن، تلك النظرة على وجهه عندما أمسكت يد يونس لخصت كل شيء. لم أتعمد ذلك، لكنني لن أنكر أنني سعيدة»

ابتسم وهو ينظر في الصفحة المواجهة:

«**لا أعلم..**»

عاد بنظره للصفحة السابقة وقرأها بعينيه بسرعة، ثم قرأ بصوت مرتفع:

- «**اتصل بنا المهندس شوقي أثناء زيارتنا ليونس ليخبرنا بأنه توصل لأمر هام وسيخبرنا به في الصباح.**»

نقر بسبابته مرتين على تلك الجملة، قبل أن يقول وقد بدت عليه الصدمة:

- لا أرجو ألا يكون..

لم يتم جملته وأمسك دفتر طارق، وقلب فيه بسرعة حتى وصل لصفحة محددة ليجد الجملة التي كتبها طارق أثناء اجتماعه بأسامة وشروق يوم مقتل شوقي:

«الأشهب: لم يقتله حسام، واستفاد التطبيق من تلك المحاولة.»

وضع مازن يديه على رأسه وثبتت عيناه على تلك الجملة للحظة، قبل أن ينهض وفتح ذراعيه وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا غير مصدق:

- بتلك البساطة؟!

ترك جسده يهوى على المقعد مرة أخرى ليقول ولا زال تحت تأثير الصدمة:

- لقد كان أنت طوال الوقت.

غطى وجهه بكفيه للحظات قبل أن يضرب بهما المكتب بقوة ويسأل وقد علت نبرته:

- كيف تلاعبت بي؟ كيف تلاعبت بنا؟

أمسك دفتر تهذيب على تلك الورقة ثم بدأ في التحدث بسرعة عندما كعادته عندما يفكر:

- حسنًا، لقد أخبرنا شوقي على الهاتف بأنه قد توصل لأمرٍ هام، وحسبما أتذكر فقد سمعتني وأنا أتلقى منه المكالمة في المستشفى، وخمن ماذا حدث يا يونس؟ لقد قُتل شوقي في اليوم التالي. قُتل بطريقة الملك التي كانت لتصبح أكثر

منطقية لو قُتل بها أسامة. آه.. أسامة الذي ظن أن الأشهب هو من يسعى وراء الشركة، فحسام لم يقتله وإنما هاجمه ليصبح ضحية كباقي المجلس ولا يثير الشكوك، وفي نفس الوقت استفاد بسببه، هذا ما حدث معك يا يونس، لقد قطع إبهامك فقط، واستغله في الدخول إلى الشركة. وإيريس أخبرتنا أن الخطأ سيكون في أحد الشهادات، لقد كانت شهادتك أنت، ولقد قمنا بقراءتها كل مرة كحقائق مُسلّمة. إيريس؛ ذلك التطبيق، الذي برمجته كي يساعدك..

تحدث بصوت منخفض كأنه تذّكر شيئًا:

- السماعة الموجودة إلى جوار سريرك في المستشفى. والتطبيق الذي يتحدث وقتما يريد هو. التطبيق في آخر مرة كان يتجاهل كل من يتحدث معه ويقول بغض النظر عمّا قيل ويستأنف الحديث كأنها.. كأنها رسالة مُس...

قطع جملته وانتظر ثواني على مقعده لينهض مصدومًا:

- بالطبع! لا يوجد تطبيق يحذر من التكنولوجيا! لا يوجد تطبيق ينتحر! هذا صحيح! لم يكن هناك تطبيق! لا توجد إيريس! إنها أنت؛ أنت من كنت تتحدث معنا. لم تتواجد أثناء حديثنا مع التطبيق سوى أول مرة عندما رأينا أنه

تطبيق عادي وليس بذلك الشر، وآخر مرة عندما كانت رسالة مُسجلة يقولها التطبيق.

ضحك مازن ضحكة قصيرة ليقول:

- لقد كان مجرد تطبيق لتغيير الصوت، أنت من تحدث. أنت من..

مسح رأسه بيده:

- لهذا كنا نحاول التواصل مع التطبيق في أوقات فنجده خارج الخدمة أو مُعطلًا. أنت من كنت خارج الخدمة!

أخذ يذرع المكتب ذهابًا وإيابًا وقد ضم كفيه وأخذ يصفق بصوت منخفض برؤوس أصابعه:

- كيف جعلت حسام يفعل ذلك؟ هل كان مريضًا نفسيًا، أم أغريته بالمال؟ بالطبع لا، لا يوجد أي كم من المال يجعل شخصًا سويًا يسلخ امرأة لا يعرفها. لقد كان مريضًا نفسيًا من البداية، لا بد أنك من اخترته وتلاعبت بنتيجة اختباراته النفسية. لماذا فعلت ذلك؟ هل تريد السيطرة على الشركة لهذا الحد؟ وما هي خطتك؟ شروق؟ هل ستتزوجها؟ بالطبع لا، كان يمكنك أن تفعل ذلك ووالدها حي، لقد وثق بك وكان سيدعمك. حسنًا، هناك طريقة ما ستسيطر بها على الشركة.

توقف أثناء تحركه:

- إذن أنت ذكي، وتحكمت في كل الأمور من كل الزوايا بخطة محكمة، لماذا تجعل طارق متهمًا في إحدى جرائمك؟ هل تريد أن تضحي به؟ هل كانت تهذيب على حق عندما كتبت أنه لن يمكن لأي شخص الانتصار علينا إلا إذا تم تفريقنا؟ قد يكون ذلك صحيحًا لكنك مغرور وتريد أن تسخر منّا، إذن أنت فقط تريد تعطيلنا. لماذا تريد ذلك؟ هل سترتكب خطأ؟ هل ارتكبت خطأ؟ ما الذي يمكننا ملاحظته الآن وتحاول تشتيتنا عنه؟ طارق في الحجز، ولا أستطيع أن أجد تهذ..

قطع جملته والتقط هاتفه من على المكتب واتصل بتهذيب مرة أخرى ليسمع صوت الجرس فتنهد، ولكنها لم ترد فأرسل رسالة على الفور:

«**هناك تطورات كثيرة. اكتشفت كل شيء. اتصلي بي!**»

نظر في ساعة هاتفه فوجدها الواحدة ظهرًا، فاتصل بهاتف المقدم علاء فوجده خارج التغطية، فأرسل إليه رسالة من كلمة واحدة:

- «يونس»

عاد خطوتين إلى الخلف حتى لمس المكتب فاستند إليه، ثم مد يده حتى وصل إلى دفتر تهذيب، وقلّب الصفحات حتى وصل لآخر صفحة مكتوبة:

«سأقابل يونس غدًا لأتأكد من أمرٍ ما. سنكون في المقهى الذي يقدم الفطور في نهاية شارع المكتب. تركت هذه الرسالة كرسالة نجدة إذا اتضح أنه يعمل مع إيريس. وبالطبع، أعرف يا مازن أنك تعرف مكان الدفتر.. فلنأمل جميعًا أنك لن تضطر إلى قراءته.»

التقط مازن سترته، واتجه ناحية الغرفة لينتعل حذاءه وغادر بخطوات سريعة وهو يكرر في غيظ:

- لقد اكتشفت أنه يونس قبلي.



-٢٩-

تيك.. توك، تيك..توك

يوم الاثنين

الساعة الثالثة عصرًا

جلس يونس على الأريكة المُقابلة لتهذيب، وأمامه كوب عصير قد انتهت تهذيب منه لتوها. ظلّ ناظرًا إليها بابتسامة خفيفة وفي يده ورقة، وبعد لحظات وضع قدمًا فوق الأخرى وتحدث بصوت هادئ:

- أظن أنه ليس من عادتي أن أجلس هكذا دون كلام، لكن لحظات الوداع تقتلني.

كادت تهذيب أن تتحدث، لكنها ابتلعت كلماتها وسالت دمعتان على وجنتيها، ليستطرد:

- لم يكن من المفترض أن تعرفي، ولم يكن من المفترض أن تقابليني بمفردك إذا عرفتِ، لقد اتخذتِ سلسلة من أسوأ قراراتك يا تهذيب، وللأسف يجب أن أتعايش مع نتيجة تلك القرارات.

- ماذا ستفعل؟

خرجت منها الكلمتان بصوت واهن متردد بين دموعها الصامتة، ليجيب:

- شيئًا مختلفًا عمّا يدور في عقلك.

ابتسم وأخرج قلمًا من جيبه قائلًا:

- لطالما أحببت الخطط، يمكنك وضع خطة لسنوات قادمة، بطريقة ما يمكن لخطة جيدة أن تهزم الزمن. لذا سنضع خطة لاجتماعنا الأخير.

- لن أخبر أحد، أقسم لك.

- هذه ليست النقطة يا تهذيب، الكل سيعرف قريبًا. أظن أنكِ لا زلتِ جاهلة بما يحدث، لذا الخطوة الأولى في خطة اجتماعنا..

توقف وكتب كلمتين، ثم أبعد الورقة قليلًا وقرأهما بصوت عالٍ:

- شرح الموقف.



في نفس الوقت..

وصل مازن إلى المقهى الذي حددته تهذيب في مذكراتها، اتجّه إلى النادل وتحدث بلهجة قوية مُشيرًا إلى كاميرا فوقهما:

- الرائد مازن، مباحث. هل هذه الكاميرات تعمل؟

بدا الاضطراب على الشاب الذي تحدث على الفور:

- بالطبع، بالطبع. مكتب المدير هناك.

قالها مُشيرًا إلى طرقة بجوار المطبخ، فذهب طارق بخطوات واثقة ودخل تلك الطرقة، حتى وجد مكتبًا مكتوب عليه «الإدارة»، فطرقه وفتح الباب دون أن ينتظر ردًا. وجد شابة في منتصف الثلاثينيات، بدا عليها المفاجأة من ذلك الاقتحام ليعاجلها مازن:

- مع حضرتك الرائد مازن، آسف على طريقة دخولي لكننا نحقق في جريمة اختطاف، والثانية قد تنقذ الضحية. هل نظام الكاميرات يعمل هنا؟

- بالطبع، ويتم تفريغ الكاميرات كل يوم ونحتفظ بالسجلات، ثم نقوم بأرشفتها كل شهر. الأمر متعب ولكننا نعلم..

قاطعها بنفاد صبر:

- جميل، أين شرائط أمس وأول أمس.

بدا عليها الاضطراب وتحدثت مترددة:

- لقد كان هناك عطل في الشبكة بالكامل منذ يومين، وحللناها أمس. ستجد التسجيلات من ليلة أمس فقط.

ضرب المكتب بقبضته دون كلام ليزيد اضطرابها. انتظر ثواني ثم تحدث مرة أخرى:

- من كان يعمل في صباح أول أمس؟

- نفس العاملين الآن، سيغادرون بعد ساعة.

غادر وصفق الباب بقوة ذاهبًا لنفس الشاب، وأمسكه من مرفقه واتجه به ناحية طاولة فارغة في منتصف المطعم:

- اجلس!

قالها بلهجة آمرة ليجلس الشاب فورًا، بدأ مازن بالتحدث بسرعة:

- أول أمس جلس شاب أبيض طويل يرتدي ساعة تكنولوجية مُميزة، مع شابة جميلة غالب..

قاطعه الشاب بتردد:

- في ذلك الوقت لا يأتينا الزبائن إلا في أزواج، لن يمكنني أن أجزم إذا..

قاطعه مازن بحدة:

- صدقني ستتذكر.

نظر حوله فوجد الواجهة الزجاجية عليها أربعة طاولات، واحدة إلى يسار الباب والثلاثة إلى يمينه. وجد بعدها بضعة تماثيل ديكور وفي منتصف المطعم وُزعت الطاولات بشكل دائري جلسا هما إلى إحداها، فتحدث لنفسه بصوت مسموع وبسرعة:

- لقد عطّل الكاميرات في ذلك اليوم، لذا لن يؤثر عليه وضع الكاميرات في اختيار طاولته. الطاولات على الواجهة مكشوفة، وهو لا يريد أن يُرى من الشارع خاصة أن المكتب قريب جدًا من هنا، ولن يسمح للصدفة بأن تهدم كل ذلك التخطيط. الطاولات الدائرية في المنتصف؟ لا بالطبع، إنها قريبة جدًا من بعضها البعض. بالطبع أراد أن يجلس في نقطة بعيدة عن باقي الطاولات كي لا يُسمع إذا احتد الأمر، لذا أفضل حل أن يجعلها تجلس في مقابلة الواجهة، بينما يجلس موليًا ظهره إليها. لا بد أنه جلس هناك.

قالها وهو يدور ليشير ناحية الطاولة الوحيدة على الواجهة إلى يسار الباب. بدا الذهول على الشاب، ليتحدث مازن مرة أخرى:

- اسمع وركز. شاب أبيض طويل، يرتدي ساعة مُميزة، لا بد أنك رأيتها عندما ناولته الأطباق. فتاة جميلة، ترتدي بنطالًا من القماش وقميصًا، يعطيك مظهرها انطباعًا بأنها سكرتيرة أو موظفة في بنك مثلًا. لا بد أن يحدث شيء مميز بينهما، فهو لن يختطفها إلا بتهديد السلاح، أو بالتخدير لأنها تعلم أنه..

قاطعه الشاب وبدا عليه أنه تذكر:

- لقد تذكرت، عرفتهما بالطبع. لقد جاءا أول أمس وطلبا الفطور، أحضره لها الشاب بنفسه ولم ينتظر أن آتي به لذا ظننت وقتها أنه لا بد أن يكون موعدهما الأول، وبالتالي سيكون سخيًا في البقشيش، لكنها وأثناء ذهابها إلى دورة المياه تقريبًا غابت عن الوعي، وقد بدا ملهوفًا عليها فعلًا. أخذها في سيارته، وقد ساعدته وفتحت له باب السيارة.

نظر إليه مازن في غيظ:

- هل يحدث ذلك كل عشر دقائق كي تحتاج كل ذلك الوقت والوصف لتتذكره؟

- أنا لا..

- ما نوع سيارته؟

- لم أميزها في تلك اللحظة، لقد كانت الأعصاب مشدودة. لكن بالتأكيد كانت سيارة زرقاء، وعندما غادر رأيت من الزجاج الخلفي دبًا محشوًا أصفر. هذا كل ما أتذكره يا باشا.

نظر إليه مازن للحظة قبل أن يغادر وهو يتحدث لنفسه مرة أخرى بنفس السرعة:

- إنها سيارة فتاة، أو سيارة أسرة. لقد علم أن تهذيب تعرف، واستخدم سيارة مسروقة أو أيًا كان مصدرها.. لقد خطط لاختطافها، وبالتالي خطط للمكان الذي سيحبسها فيه.

خرج مازن وهو يفكر في إحصائيات الاختطاف والقتل، وكيف أن ٩١بالمائة من عمليات قتل المختطفين تمت في الـ ٢٤ ساعة الأولى من عملية الاختطاف. نظر إلى ساعته ليراها تشير للرابعة تقريبًا وقد ظهر صوتها أعلى بشكل غريب وكأنه يحذره تيك..توك، تيك..توك.



-٣٠-

الرجل ذو الدم الأصفر

يوم الاثنين

الساعة الرابعة والنصف...

- حسنًا، لقد وضعنا خطة الاجتماع. ونفذنا أول خطوة فيها حيث تناولنا الغداء. لقد أعدت ترتيب الخطوات، فشرح الموقف قبل الغداء قد يجعلنا نشعر بالملل. الآن ميعاد الخطوة التالية. هل يمكنني سؤالك عما فهمته حتى الآن كي لا أشرح شيئًا تعرفينه بالفعل؟

بدت مترددة وهي تتحدث بصوت منخفض:

- أعلم أنك تعمل مع إيريس، وأنك الواجهة التي ستصدرها للسيطرة على الشركة.

ابتسم ليرد:

- حسنًا، سأخبرك معلومة بسيطة ستجعلك تعيدين استنتاجاتك كلها. لقد برمجنا الكثير من التطبيقات في سلسة WHOme واعتمدت كلها على تحليل المواقف والبحث عن المُشابه وبالتالي تقديم الاقتراحات. الأمر لم يكن عبقريًا، لكن ما جعل الناس يقعون تحت سطوة التطبيق ويشعرون بأن هناك مُرشدًا حقيقيًا لحياتهم هو صياغة تلك النصائح. لقد اهتممنا بشكل كامل بالصوت الخارج، وسجلنا آلاف الساعات من المحادثات، واستخدمنا الأفلام والمسلسلات لنخرج الصوت بتلك الواقعية. أما عن النصائح نفسها، فقد استخدمنا أفضل ما توصل إليه العالم في تعبيرات الذكاء الاصطناعي، والتي لا يتم تقديمها في تطبيقات عادية للمستخدمين، هذا سر تطبيقات WHOme والتي جعلتنا شركة رائدة على مستوى العالم.

اتجه يونس ناحية المطبخ، وهو يتحدث:

- حتى جاءت فكرة YELLOWme والتي كنّا نعلم أنها ستكون أعلاها مبيعًا لأن الناس ستزدريها وستتحدث عنها الصحافة. لقد كانت خطوة كبيرة للشركة، وجلست مع شوقي لنضع الخطوط العريضة، وبدأنا في العمل وفي كل مرة أجرينا فيها تجارب نجد أن التطبيق سطحي

ويفتقر إلى الإبداع. ينصحك نصائح على شاكلة «لا تتركه يغادر مبتسمًا.» ما هذا الغباء؟

رجع يونس بكوب ماء ليستطرد:

- على كل، اكتشفت المشكلة في النهاية، الشر مُميز عن باقي الأحاسيس الأخرى، الشر يحتاج إلى إبداع. وهذا أصعب من أن يتعلمه تطبيق في سطور برمجة. لذا، وجدت الحل.

جلس على الأريكة واضعًا قدمًا فوق الأخرى، وقال مبتسمًا:

- أقنعت شوقي بعد شهور أنني استطعت أخيرًا التغلب على تلك المشكلة. إذا لم نستطع تعليمه الإبداع، فيمكنه أن يُقلد. وشرحت له أن بإمكان تطبيق يدرس أشرار التاريخ، والسياسة، والفلسفة أن يحاكي تصرفاتهم على مقياس أصغر. واقتنع!

وضع الكوب أمامه، ولم يشرب منه بعد ثم اعتدل وهو يتثاءب:

- في البداية، كان الهدف من تلك الخطوة أن أتفوق على شوقي فقط ضمن خطة للوصول إلى مقعده، لكنني وجدتها فرصة عظيمة عندما اقترحوا أشخاصًا للتجربة. فدفعت بحسام. حسام الذي أعرفه منذ سنوات، وبالطبع أعرف ميوله ونزواته، ورغم أننا لم نتقابل منذ سنين، إلا

إنني راهنت أنه إذا قبل تلك التجربة بسبب المال، فإنه لم يتغير بشكل كامل، مما يعني أن نقطة ضعفه لم تتغير أيضًا.

بدت الدهشة على تهذيب التي كانت تسمع وتُفاجئ مع كل كلمة، حتى فلت منها السؤال:

- وما هي؟

- حبه للدماء.

قالها ببساطة، واستطرد:

- إنه أمر قديم فيه، والذي جعله – بالإضافة إلى طمعه وغبائه – مثاليًا. أعطينا جميع المشتركين في التجربة نسخًا من التطبيق ليتفاعلوا معها، إلا أن نسخة حسام كان فيها تعديل بسيط، لقد كنت أنا من يتحاور معه. كانت الخطة هي كسب ثقته عن طريق تقديم أرباح فورية له. جعلته يبتز الشركة، وجعلته يقوم بعمليات نصب خارجية، وكنت أشرح له كل شيء وأوضح له عقوبة ما يفعله إن فعله، وكيفية التغلب عليه. وبمرور الوقت، أصبح التطبيق هو أعظم وأهم شيء في حياته. أما باقي الأعضاء، فلقد تحدثوا مع نسخة بدائية بها بعض الأحاديث المُرتبة مسبقًا. هذه النسخة التي تحدثتم معها أول مرة وأخبرتكم أن اسمها ماري.

أشارت تهذيب إلى كوب الماء، فضحك ضحكة قصيرة وقام ووضع الكوب على فمها لتشربه كله على مرتين. هدأت تهذيب وإن ظلت ملامحها جامدة:

- هل كان أنت من..

- نعم لقد كنت من أتحدث إليكم. كنت أظن أنني ألهو في البداية وليس لكم أهمية سوى أن تؤخروا تحقيقات الشرطة بعض الشيء، إلا أنه اتضح أنكم قد تكونوا مفيدين. لقد أنقذتموني من حسام -والذي أشكركم عليه- لأنني لم أضطر إلى تعريفه بنفسي.

ضحك يونس قبل أن يقول:

- أشكركِ أنكِ شككتِ بي، كنت لأضيع هذه النظرة التي أراها الآن.

- لم تكن إيريس.

قالتها في عدم تصديق، ليرد بهدوء:

- بالطبع لم تكن إيريس، لقد كنت أنا. كيف لم تلاحظوا أنه يجب أن أكون غائبًا كي تشتركوا في نقاش حقيقي؟ أي تطبيق يخبركم بأنه غير مُتاح الآن؟ أي تطبيق يقتل نفسه؟

اتجه يونس ناحية السلم المُفضي للطابق العلوي وهو يتحدث بصوتٍ مسموع:

- الآن انتهت الخطوة الثانية من خطة الاجتماع الأخير، سأعطيكِ نصف ساعة تراجعين الأحداث، ثم نبدأ المرحلة الأخيرة: «الاعتراف»

في نفس الوقت...

وقف مازن مكان السيارة في مرآب المقهى وهو يفكر بصوت مسموع كعادته:

- إذا كنت مجرمًا عبقريًا أوشكت على النجاح في جريمة بهذا الحجم، ثم هددك أحدهم بأنه يعرف سرك، ماذا ستفعل؟ هل ستقتله؟ لا بالطبع لن تقتله بعد أن شُوهدت معه في مكان عام ونقلته بسيارتك، هل ستحتفظ به كبطاقة أمان؟ وماذا بعد؟ كيف سينتهي الأمر؟ هل ستقتلها؟ أم ستتركها تفضحك؟ خطتك الفضيحة على كل حال، لكن هذا يتعدى كونه فضيحة، هذا إثبات على جريمة، تهذيب يمكنها أن تهدم كل ما تحاول..

نظرت إليه فتاتان باستنكار وهو يحرك يديه كأنه يشرح لجمهور خفي، ليرد عليهما وسط أفكاره بنفس السرعة:

- جيّد، لقد بدأ الناس في التشكيك بعقلي، لا عل..

توقف عن الكلام وثبتت حركته حتى يديه التي تشير بإصبعين نحو اللاشيء توقفا للحظة، ثم ذهب ناحية الفتاتين وقال مبتسمًا:

- أشكركما.

بحث عن هاتفه ليتذكر أنه قد نسيه عندما قرأ رسالة تهذيب في دفترها، فاتجه نحو المكتب مُرددًا:

- أنا قادم يا تهذيب.



-٣١-

بما يكفي!

الساعة السابعة والنصف

نزل يونس من السلم العلوي ليقف أمام تهذيب قائلًا:

- حسنًا، لقد جاء وقت الاعتراف. ألستِ متشوقة؟ ألا يقتلك الفضول؟

وضع يده على فمه كأنه أخطأ:

- آسف! لا بد أن سيرة القتل مرعبة الآن.

- ماذا ستفعل؟

سألت تهذيب بلهجة جامدة وكأنها تغيرت تمامًا في ساعتين، ليرد:

- سأعطيكِ كمية وافرة من السوائل، ثم سأنقلك إلى مكان ما في الصحراء، وسأرسل إحداثياته لمازن، ليجدك في

الصباح. المكان مؤمن بالكامل، ولا يوجد حيوانات أو ما إلى ذلك. فقط سنؤجل قصتك حتى الصباح كي أنتهي من خطتي.

ذهب إلى المطبخ وجاء بكوب عصير آخر، ووضع فيه المشفطة لتشربه تهذيب على الفور وهي تراجع ما قاله. غادر بالكوب ناحية المطبخ، وغسله جيدًا قبل أن يضعه وسط باقي الأكواب قائلًا:

- بالطبع تفهمين أنني سأقوم بتخديرك الآن لأنقلك بشكل آمن عليكِ وعليّ.

نظرت إلى كوبها وسط الأكواب المرصوصة بفزع، لينظر إليها بدوره فيقول كأنه يدافع عن نفسه:

- لا، لا لست بتلك الدناءة، لم أخدرك دون علمك. سأخدرك بعد دقائق، بعد أن نغوص أكثر في خطوة الاعتراف.

عاد إليها وجلس على الأريكة قائلًا:

- تعتمد هذه الخطوة على التحدث بصدق كامل. ولهذا لم أكذب عليكِ في أمر التخدير. لكن هل يمكنني معرفة ما تنوين فعله بعد نجاتك في الصباح؟

ترددت قليلًا قبل أن تجيب:

- لا أعلم.

- حسنًا، سأخبرك ماذا سيحدث. ستنتظرين في مكانك حتى يأتي مازن، ستخبرينه بكل شيء، وسيخبر هو علاء بدوره، وبالتالي سيبحثون عني.

- لن أفع..

استطرد يونس متجاهلًا ما تقول:

- سيستجوبني علاء، وسأخبره بأنني لا أعرف شيئًا عمّا تقولين. وأنني لم أكن في المنزل طوال ليلة الأمس، سيضغط عليّ بنقطة أنكِ تصفين كل مكان في المنزل وحتى نوع العصير الذي شربته، سأخبره بأن كل هذا خيال، وأنكِ تعرفين وصف المنزل لأنكِ جئت يوم مهاجمة حسام. سيكشف أوراقه بهدوء وهو يظن أنه مسيطر عليّ، سأبيت في الحجز حتى العرض على النيابة، وسأخرج من النيابة في أقل من ساعة.

- ماذا؟

سألت تهذيب في استنكار ليرد ببساطة:

- هذا اعترافك أنتِ، ولقد صدقته، ولا أريد منك تغييره. الآن، اعترافي أنا.

- كيف؟

سألت تهذيب ليتجاهلها:

- طالما لن يصدقك أحد على أي حال، سأقص عليكِ قصة أظنك تعرفينها. بعد أن قتل هيراكليس أسد نميا في المهمة الأولى، وقطع رؤوس الهيدرا في المهمة الثانية، أيقن أخوه أن هلاك هيراكليس لن يتم في قتال أو مهمة تستوجب معركة. لذا كانت المهمة الثالثة أذكى وأخطر من سابقتها، هل تتذكرينها؟

- القبض على الغزال الأركادي.

- المقدس.

قالها مُشددًا على الحروف ليتم جملتها، واستطرد:

- لم يكن أي غزال، بل غزالًا مُقدسًا، وبالتالي القبض عليه سيكون معركة مع إله. ماذا فعل هيراكليس؟

- هناك أكثر من رواية، لكن في الرواية الأشهر طارد الغزال لفترة طويلة حتى قبض عليه، فنزل إليه ذلك الإله ليعاقبه، فاعتذر منه هيراكليس ووعده بأن يُعيد الغزال مرة أخرى بعد أن يريه لأخيه وتنتهي المهمة.

- وماذا اشترط هيراكليس كي يري أخاه الغزال؟

- أن يقابله خارج أسوار القلعة بمفرده.

- ممتاز! وماذا فعل أخوه؟

- قابله بالخارج وأراد الاحتفاظ بالغزال، لكن هيراكليس أثناء تسليمه الغزال أفلته فهرب الغزال وكأن الخطأ من أخيه.

- «**لم يكن سريعًا بما يكفي.**» هذا ما قاله هيراكليس. وهذا ما أريدك أن تتذكريه.

قالها وغادر ناحية المطبخ مرة أخرى وأخرج شيئًا من الثلاجة وجاء ناحية تهذيب قائلًا:

- إنه موعد الحقنة.

في نفس الوقت تقريبًا..

- ماذا يحدث؟

- قد تكون حادثة، أظن سنتجاوزها خلال عشر دقائق.

أجاب سائق التاكسي سؤال مازن الذي بدا غير راضٍ عن الإجابة.

- كان يجب أن يكون العنوان بالإحداثيات فلا أحفظه، وأن أحتاج الإحداثيات من الهاتف الذي أجده فاصلًا فيستغرق نصف ساعة ليشحن، وأن أركب مع هذا السائق البطيء ثم نجد الطريق متوقفًا.

- معذرة؟

لاحظ مازن أنه كان يفكر بصوت مجددًا:

- لا شيء، إنني أراجع شيئًا ما.

الساعة الثامنة والنصف

وصل مازن بعدها بساعة إلى الشارع الهادئ الذي تقع فيه فيلا يونس، ترجّل من السيارة في أول الشارع، ثم وبخطى واثقة اتجه ناحية الفيلا. وقف أمام الفيلا ليتفحص «فيلا يونس» المكتوبة على اللوحة.

طرق الباب، ورن الجرس ونادى على يونس لكنه لم يرد. دار حول الفيلا حتى وصل إلى النقطة التي هرب منها حسام، حيث قفز من الشرفة إلى الشارع، وتذّكر ما قاله علاء عن أنها النقطة الوحيدة التي تصل بين مبنى الفيلا نفسه والشارع. تسلق مازن السور، واستطاع بعد عدة محاولات دخول الفيلا. وجد

في الغرفة عمودًا معدنيًا لتعليق القبعات والمعاطف، أمسكه مازن كسلاح، وتحت سِتر الظلام بدأ في البحث عن تهذيب.

أنهى الطابق العلوي كله، ولم يجد أثرًا ليونس أو تهذيب. وصل ناحية السلم، ونزله بخفة حتى وجد مقعدًا في غير مكانه، حيث وُضع أمام الأريكة، وتناثرت حوله الوسادات. تحسس الأريكة، والمقعد، ثم تحسس الوسادات. حاول التفكير بدون صوت إلا أن خرجت منه الكلمات كالعادة:

- المقعد دافئ، لقد غادرت منذ قليل. الوسادات بها علامات انضغاط. لقد ربطها إلى هذا المقعد، وشد الحبال على الوسائد. لم يرد أن تظهر العلامات في جسدها، إذن فهي ستظهر مجددًا، لن يقتلها لأن هناك شهودًا على كونهما معًا. استنتاجي السابق صحيح.

تحسس طريقه ناحية الباب، وأضاء الغرفة ثم عاد وجلس على الأريكة، واستمر في تحليله:

- نعم، هذه هي الخطة، ألا يصدقها أحد. ما الذي يحدث؟ لماذا نرى جزءًا بجزء؟ أين الصورة العامة؟ أين ما يجب أن نراه بالفعل؟ يجب أن نفكر بشكل أعمق.



-٣٢-

لا مزيد من الأسرار

يوم الاثنين

الساعة العاشرة والنصف

دخل يونس من باب الفيلا الخارجي وهو يصفر لحنًا لأم كلثوم، وفي طريقه ناحية الفيلا وجد البهو مُضاءً، فابتسم قائلًا بصوت مرتفع:

- مازن؟ لا بد أن تكون هو.

فتح الباب ودخل ليجد مازن جالسًا على الأريكة واضعًا قدمًا فوق الأخرى. وإلى جواره الأنبوب المعدني المُستخدم في تعليق القبعات. ابتسم يونس عندما وجده مبتسمًا وبادره:

- بالطبع مازن؛ فعلاء يتحقق من مكان جثة حسام، وطارق كنت معه منذ نصف ساعة تقريبًا في القسم، وتهذيب.. أنت تعلم تهذيب لا يمكنها أن تأتي هنا بمفردها، فهي فيلا شخص أعزب رغم كل شيء.

ابتسم مازن للدعابة، وعلّق:

- لا أحمل أجهزة تنصت، إذا أردت أن تتحدث بصراحة.

تنهد يونس وهو عند باب الفيلا، ثم أغلقه وقال بتأثر:

- لقد أنهيت كل اعترافاتي مع تهذيب. لن تصدق ما أشعر به، لقد أزاحت جبالًا من الهموم عن عاتقي. أشعر أن بإمكاني الطيران الآن.

- وماذا إن وضعتك في قفص، هل سيمكنك الطيران وقتها؟

ضحك يونس قبل أن يرد:

- أظن أنه سيكون من الصعب الطيران في قفص، لكن من المستحيل أن أدخل قفصًا.

- ماذا فعلت بتهذيب؟

عدّل يونس مقعد تهذيب ليكون المسند مقابلًا للأريكة، ثم جلس واضعًا مرفقيه على المسند وأسند رأسه على كفيه وقال ببطء:

- وهل ستصدقني إذا أخبرتك؟

لم يرد مازن للحظة ثم قال:

- أعلم أنك لم تقتلها، أنت أذكى من ذلك.

- صحيح.

- أخبرني أين هي وإلا أقسم..

قاطعه يونس عندما أخرج من سترته مسدسًا، وصوبه ناحيته، وتحدث بهدوء:

- لم يمكني قتلها بالطبع، فلقد كانت معي في المطعم آخر يوم قبل اختفائها. لم تكن الخطة أن أقتلها من الأساس، لكن أنت يا صديقي..

قطع جملته للحظة، ليرد مازن بسرعة:

- جاء دوري في أن أخرج من الصورة.

- أرى أن هناك تلاقيًا ذهنيًا بيننا. فكما تعلم، لقد هاجمني حسام هنا، وقمت بترخيص سلاح بعدها. والآن أرى دخيلًا يقتحم منزلي في الظلام ويمسك ذلك الأنبوب المعدني، هل سأكون مخطئًا إذا قتلته؟ لن أكون مخطئًا صدقني.

لم يرد مازن بعد أن استوعب موقفه، فاستطرد يونس:

- في الحقيقة لم أتوقع أن تحل تهذيب اللغز قبلكما، لكن من يمكنه أن يتوقع! الآن، بينك أنت وطارق، من الذي عرف تاليًا؟

- لا أظن أن طارق قد اكتشف الأمر بعد.

- لقد جئت من القسم لتوي، ولقد اكتشف الأمر. أظنه كان يشك فيّ لذا أخبرته بأننا سنبيع الشركة لمؤسسات خيرية في أفريقيا لأرى هل يتذكر أم لا.

أضاءت كلمة «أفريقيا» جزءًا بعيدًا في ذاكرته:

«حتى يونس أقنعته يهتم بنشر تطبيقات الشركة في جمعياته الخيرية في إفريقيا حيث يُعلم الأطفال التكنولوجيا ويجهز المدارس بالحواسب وما إلى ذلك ووجدت لنفسي مدخلًا لعالم جديد، لكن أنت يا مازن لا أجد لك مدخلًا.»

- كلنا نتذكر ما قلته من خلالها.

ضحك يونس بصوت مرتفع لثواني ثم قال:

- صدقني أريد أن أصفق، لكن المسدس يمنعني. أخيرًا شخص يفهمني دون حاجة إلى شرح. لقد مللت من التلميحات مع تهذيب. سيفهم الجميع كل شيء قريبًا، لكن أنتم ينبغي أن أرى وجوهكم عندما تكتشفون الأمر.

لم يرد مازن، فاستطرد يونس:

- لقد كنت أحكي لتهذيب منذ قليل قصة لهيراكليس، وكيف نفذ خدعة بسيطة لأن خصمه «**لم يكن سريعًا بما يكفي**».

- حسنًا، لقد كنت أسرع في مرحلة ما، أما فيما تبقى فأظن أننا سنكون الأسرع.

رفع يونس سبابته وارتسم على وجهه الخوف:

- لحظة واحدة! هل تقصد أن فريقًا من شخص محبوس، وشخص تائه، وشخص خاضع للسلاح يتحداني؟ صدقني، أنا أشعر بالتهديد.

ثم ضحك، ليقاطعه مازن بهدوء:

- لقد كنت في الشارع منذ قليل أفكر وأتساءل كيف يمكنه أن يتركها تبلغ عنه الشرطة. كنت متحمسًا بعض الشيء، حتى ظن الناس في الشارع أنني مجنون أتحدث إلى نفسي. ولحظتها رأيت الإجابة.

ابتسم يونس، ليستطرد مازن:

- لن يصدقها الناس لأنك خدرتها أو أعطيتها شيئًا يغير حالتها العقلية، وبالتالي ستطعن بأن كل ما حدث خيالات لا يمكن إثباتها. أليس كذلك؟

ابتسم يونس قائلًا بهدوء:

- أرى أنني كنت محقًا عندما أشدت بكم في البيان الذي قامت إيريس بتسريبه للصحافة. لقد قلت أن مكتبكم استطاع أن يفعل ما لم تستطع الشرطة فعله، وأتمنى حقًا أن يفيدكم ذلك دعائيًا، لكن للأسف لم تكن سريعًا بما يكفي.. مجددًا.

لم يرد مازن، فتحدث يونس بنبرة ودودة:

- اسمعني جيدًا يا مازن، لقد فقدت جزءًا مني وأنا أنفذ ما خططت، ولا أقصد إبهامي، بل جزءًا من إنسانيتي. إذا نفذت ما أقول، أعدك أنني لن أضطر إلى فقد جزء آخر.

لم يرد مازن في إشارة للموافقة، فاستطرد:

- سأدعك تغادر الآن وستذهب مباشرة إلى مكتبك، وسيصلك اتصال من المكان الذي تتواجد فيه تهذيب، ستذهب إليها وتأخذها في الصباح، في نفس الوقت ستجد طارق خرج من حبسه وظهرت دلائل تدين الجاني الحقيقي. ستجلسون أنتم الثلاثة تراجعون كيف خدعتكم، بينما يوقّع مجلس الإدارة الأوراق لآخذ الشركة. ويعيش الكل بسعادة. يمكنك المغادرة الآن قبل أن أغير رأيي.

قال الجملة الأخيرة وهو يلوح بالمسدس ناحية الباب، فقام مازن بحذر، واتجه ناحية الباب وقبل أن يُغلق الباب سمع صوت يونس:

- لا تتواصل مع مجلس الإدارة. دعنا ننته دون سقوط ضحايا أخرى.



-٣٣-

الثلاثاء الحزين

الاثنين: ليلة المؤتمر..

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل

دخل مازن المكتب وهو لا يزال يحاول الاتصال بعلاء، لكن لا زال الهاتف خارج التغطية. أغلق الباب بضعف، واتجه ناحية المكتب بخطوات واهنة. جلس على المقعد الأوسط خلف المكتب، ونظر إلى الأوراق المُبعثرة على المكتب، شيء فيها ذكرّه بالاقتباس الأخير الذي لم يصل إليه حتى الآن: «**وكأن همًا واحدًا لا يكفي، أو كأن الهموم تستأنس بعضها ببعض.**»

ذهب ناحية الحمام ليغسل وجهه لعل المياه تنعش ذاكرته. وقف أمام المرآة للحظة يتأمل ما يحدث، ثم ظهر الاقتباس مرة أخرى في عقله. متأكد أنه يتذكره، أغمض عينيه وحاول الاقتراب منه، إنه يعرف تلك الرواية، اسمها على طرف لسانه.

فجأة انتزعته من أفكاره طرقات الباب، كانت طرقات عنيفة توحي بأن صاحبها في خطر، أو قد يسبب خطرًا. هرع ناحية الباب لعلها تهذيب، وفتحه ليجد ثلاثة رجال أصغرهم جسمًا يستطيع أن يفرقع جمجمة مازن إذا وضعها بين ساعديه. ابتسم مازن عندما فهم ما يحدث، ولكنه لم يلقِ إحدى نكاته لأن أقربهم إليه عاجله بلكمة أطاحت به.

الثلاثاء: يوم المؤتمر..

الساعة الخامسة فجرًا

دخل علاء المكتب مُمسكًا بسترته وقد بدا منهكًا، وما إن رآه طارق حتى هبّ واقفًا وتحدث بسرعة زادت من لعثمته:

- إنه يون..س! لقد فهمت كل شيء، إنه هو بالتأ..تأكيد.

بدت عليه المفاجأة، ونسي تعبه وتجدد نشاطه وهو يسأل:

- متأكد؟

- لقد راجعت كل شيء. لقد كان هو من فعل ذلك. اسمه الحقيقي ليس يونس، بل هشيمة. اختار اسم يونس لأنه يشبه زيو..زيوس في تصميم بطاقته. لقد جاء واعتر..رف لي، واخت..تطف تهذيب كذلك. إنه هو، لكن لا يوجد

دليل. سيسيطر على الشر..كة في الصباح. هو من أرسلك للبحث عن حسام.

انتظر علاء للحظات كي يعالج تلك المعلومات، ثم قال:

- اشرح كل شيء بالتفصيل، وابحث عن دليل أستطيع به القبض عليه في خلال ساعتين، ابحث لي عن خطئه. وأنا سأضع الهاتف على الشاحن وأتصل بمازن لعله توصل لشيء.

يوم الثلاثاء الساعة السادسة صباحًا

استيقظت تهذيب فجأة لتجد نفسها مستلقية على سرير ناعم بملاءة بيضاء، حاولت لا إراديًا النزول من السرير لتشعر بالألم في يدها اليسرى، نظرت إلى مكان الألم لتجد إبرة مُثبتة في وريدها، ومتصلة بمحاليل مُعلقة إلى جانبها. ألقت نظرة سريعة على الغرفة لتستوعب أنها في مستشفى. نادت بصوت أقرب إلى الصراخ:

- مازن! مازن! طارق! مازن!

استمرت في النداء بشكل هيستيري حتى جاءتها مُمرضة مُسرعة:

- ماذا هناك؟ اهدأي، أنتِ بخير.

- أين أنا؟ كيف جئت إلى هنا؟

- أنتِ في مستشفى ال..

قاطعتها تهذيب بحدة:

- يجب أن أتصل بأحدهم، يجب أن أجري اتصالًا.

- اهدأي، سأحضر لكِ هاتفًا الآن، لكن يجب أن تهدأي.

الثلاثاء: الساعة السادسة والربع

- حسنًا، لقد اقتنعت بما قلته، وكذلك من رسالة مازن، لكن أريد مبررًا للقبض عليه الآن قبل ذلك المؤتمر.

- يمكنك أن..

قاطعته طرقات على الباب، ليأذن علاء لصاحبها بالدخول، فيدخل إبراهيم ذلك الضابط الشاب الذي رافقه يوم إنقاذ يونس من حسام:

- ماذا هناك يا إبراهيم؟

- تهذيب يا فندم اتصلت بالشرطة من مستشفى، وطلبت أن تصلك تلك المعلومات بالتفصيل:

كانت لهجة إبراهيم متحمسة لذلك الاكتشاف قبل أن يقاطعه علاء:

- يونس هو المجرم ويجب أن نقبض عليه قبل توقيع العقود أليس كذلك؟

ظهرت الخيبة على وجه إبراهيم الذي أومأ دون رد، فتحدث علاء بلهجة آمرة:

- أحضرها الآن وأحضر أي شيء كان معها.

ثم نظر إلى طارق قائلًا:

- لعلنا وجدنا شيئًا نكسب به بعض الوقت.

- لقد أرسلت سيارة بالفعل.

قالها إبراهيم ليومئ له علاء فينصرف ناحية الباب، وقبل أن يفتح الباب يجده يُفتح دون طرق، ليدخل شاب أسمر البشرة طويل القامة بابتسامة واهنة. نظر إليه طارق للحظة لتتجمد ملامحه، ثم نظر إلى علاء الذي بدت عليه الصدمة بشكل أكبر، فتح له إبراهيم الباب في وجوم ليدخل الشاب بخطوات واثقة، وتفلت من طارق كلمة بصوت متردد:

- كيـ..كيف؟

ابتسم الشاب أكثر قائلًا ببساطة:

- حسام شعبان، جئت لأعترف.

-٣٤-

الثلاثاء: الساعة الرابعة عصرًا

جلس يونس مُقيدًا على مقعد أمام مكتب علاء، بينما جلس طارق على الأريكة البعيدة نسبيًا.

- هل يمكننا فك هذه الأصفاد؟ إنها تؤلمني فعلًا.

سأل يونس بهدوء ليرد علاء:

- بالطبع يمكننا، لكن لن أفعل ذلك. اسمع يا يونس..

- اسمي هشيمة عبد الوهاب.

قالها بجدية، ليصحح علاء:

- اسمع يا هشيمة، لقد بذلت مجهودًا كبيرًا في خطة محكمة. في الحقيقة، أصعب قضية واجهتها، لكن كالعادة هناك أخطاء صغيرة تكشف كل شيء. بالطبع نجحت في السيطرة على الشركة، لكن كيف سيفيدك ذلك وأنت في السجن؟ لقد أخبرتنا تهذيب أنك اختطفتها، بينما سلّم

حسام نفسه، وأنت تعلم أننا سنعرف منه كل شيء آجلًا أم عاجلًا. فلماذا لا نوفّر هذا المجهود وتجيب عمّا أريد بصراحة؟

- ماذا تريد؟

- دعني أفكر، حسنًا، فلنبدأ بمكان مازن، وبعدها نريد اعترافًا باختطافك تهذيب، وتعترف عمّا فعلته من خلال إيريس.

ابتسم يونس ولم يُعقب، فنهض طارق من الأريكة وجلس على المقعد المُقابل ليونس وتحدث لعلاء بهدوء:

- لقد وضع هذا الرجل خطة لكل شيء. وسارت الأمور كما أراد بالضبط، حتى عندما قررنا القبض عليه لاختط.. اف تهذيب، فاجئنا بحسام الذي من المفترض أنه قتل نفسه، ليعت..رف أنه المجرم في كل تلك الجرائم، وأن إيريس صنعت له ذلك الفيديو ليقتل أسامة دون مشاكل. ألقى تفاص..تفاصيل صغيرة لنا لننشغل بها على أمل أن نجد دليلًا دامغًا، لكن كل ما فعله هو شراؤه بعض الوقت.

- هل تقصد أن هذا جزء من خطته؟

سأل علاء كأنهما يتحاوران ليجيب طارق:

- لا أظنه بهذا الذكاء، أليس كذلك يا يونس؟

ابتسم يونس، ثم قال:

- مجددًا، اسمي هشيمة! يونس مات بانتهاء مهمته.

أومأ طارق ليصحح:

- أليس كذلك يا هشيمة؟

ابتسم يونس راضيًا ليقول:

- أرى أن هذا التحقيق غير رسمي، ولم نفتح محضرًا حتى الآن، لذا سأخبركما بتوقعاتي غير الرسمية. أتوقع أن رجلًا بهذا الذكاء الذي تصفونه لم يكن ليختطف شخصًا في منزله ويتركه حيًا ليعترف عليه إلا مع وجود خطة بديلة. أما عن حسام، فأظن أنه لن يعترف لأن إيريس أو ذلك الرجل شرح له القانون المصري والحالات المُشابهة لحالته، ويعرف بشكل قاطع أنه سيقضي سنة على الأكثر في مستشفى أمراض عقلية قبل أن تهربه إيريس، وهو واثق مما رآه منها أنها قادرة على ذلك. هذا مجرد رأي!

- حقيقي، نحن لم نفتح محضرًا لأننا ننتظر تهذيب حيث..

قاطع يونس علاء قائلًا:

- وهل ستصدق المحكمة شخصًا في دمه آثار لمواد مُسببة للهلوسة؟ في المقابل، سيعترف حسام – الذي لم أرسله

هنا لشراء الوقت - أنه اختطفها وسيذكر حديثهما معًا بكل تفاصيله. كل ما تقوله تهذيب سيقوله حسام، فسترى النيابة أن هذا تأثير الهلوسة وقد استبدل خيالها حسام بشخص بريء مثلي.

- هناك مكان حقنة تخدير في ي..

ضحك يونس قائلًا:

- بالطبع، لقد أخبرها حسام أنه سيخدرها لينقلها. وأنت تعلم لأن عقلها كان غائبًا، قد تتصور شخصًا آخر مكانه.

سكت علاء للحظات مصدومًا بينما تحدث طارق:

- تعلم أننا سنجد ثغرة فيما تقول، لماذا لا تسّهل الأمر علينا؟ نريد فقط معرفة مكان مازن.

- لن تجدا شيئًا فيما أقول! حبوب الهلوسة ستقتل أي شيء تقوله تهذيب، خاصة أن المستشفى أثبتت وجودها لمدة أيام في دمها. لن تستطيع المحكمة الأخذ بكلامها حتى وإن صدقته، أما عن حسام فلقد هاجمني من قبل، وأنا الضحية. لم يتحدث سوى مع إيريس على ما أظن.. لذا كل ما نقوله الآن مجرد دردشة أصدقاء، وأريد أن تنزعوا تلك الأصفاد عني.

سكت طارق وقد استوعب ما قاله يونس، ليتحدث علاء:

- إذن فأنت تعتقد أنك ستغادر من النيابة بمنتهى البساطة، لكن تخيل معي سمعتك وأنت تعلن سيطرتك على الشركة ومتهم في قضيتي رأي عام؟

- تخيلت، وراضٍ بتلك النتيجة. أنا لم أفعل شيئًا، تنازلت لي صاحبة الشركة عن نصيبها، واتهمني بعض الناس بجرائم وقد برأني منها القانون. وبالطبع أنا لم أقل شيئًا الآن، وأي شيء ستحاول استخدامه في التحقيق سأنفيه، لذا من فضلك أنهِ إجراءاتك ليتم عرضي على النيابة، لدي شركة لأديرها.



-٣٥-

يكفي.. يكفي!

يوم الأربعاء الساعة الواحدة ظهرًا..

- ماذا هناك؟

سأل طارق تهذيب الواقفة أمام المكتب لترد في حزن:

- لقد شككت به لكن بما لا يكفي، لم أستطع إخباركما بشيفرة ساذجة سمعتها. قابلته، وكتبت هنا أنني سأقابله، كي يقرأها مازن إذا ما حدث مكروه. والآن مازن متغيب لأكثر من يوم بسببي. سلسلة من القرارات الخاطئة كما قال يونس.

- كل ما حد..ث خطأ! لكنه سينجو، يجب عليه ذلك.

- ماذا يمكننا أن نفعل؟

- لا شيء! من المظهر العام للمكتب فقد هاجمه ثلاثة ضخ..ام، استطاع أن يصيب أحدهم في قدمه. حملوه

ونزلوا الشارع به، أي لم يكن واعيًا. حاولت تتبع الكام.. الكاميرات في المنطقة، لكن لم تظهر السيارة في إحداها.

- هل يمكن أن..

قاطعها طارق على الفور:

- لا، يونس يلعب لعبة عقل لا عض..لات. مازن سينجو.

ثم التفت ليولي ظهره إليها قائلًا بصوت منخفض:

- يجب عليه ذلك!

الساعة الثامنة ليلًا..

جلست تهذيب إلى جانب طارق خلف المكتب، وقد انتفخت عينيها من أثر البكاء. بينما نظر طارق إلى ساعته، ثم التفت ناظرًا لأعلى حيث صورة الشاب. كتم دموعه للحظات قبل أن تنفجر تهذيب:

- يجب أن نفعل شيئًا.

- صدقيني نحن نفعل الشيء الصح..يح الآن. نحن ننتظر، لقد أخبرنا علاء بكل ما عرفناه، ولقد حاولنا في ضوء إمكانيا..تنا، ليس لدينا الآن سوى الانتظار.. والد.. والدعاء.

تمتمت تهذيب ببعض الأدعية لم يسمعها طارق، بينما تحدث طارق بصوت منخفض:

- لقد تأخرت يا مازن.

أضاء هاتف طارق برسالة، فالتقطه من أمامه وفتح الرسالة:

«ساعتان داخل الصحراء، سأتحرك شمالًا»

تجاهل سؤال تهذيب، وحاول الاتصال به فورًا فوجده مغلقًا مرة أخرى.

- أين هو؟

كررت تهذيب السؤال، ليقف طارق ويتحدث بسرعة بنفس طريقة استنتاج مازن والتي نسي وجود تهذيب حوله فلم يتلعثم تقريبًا:

- حسنًا، أنا اختطفت شخصًا ليمضي يومًا في الصحراء ولا يهمنا موته أو نجاته بعد ذلك. لذا لا يهم أن تكون الصحراء بعيدة. سنأخذ أقرب طريق صحراوي، وأدخل من أي نقطة فيه إلى الصحراء، لكن يجب أن أبتع.. أبتعد ما يكفي عن المناطق المأهولة. يتجه مازن شمالًا، أي إنه يرى النجم القطبي بوضوح، أليس كذلك؟

كادت تهذيب أن ترد، لكنه تجاهلها واستمر في تحليله:

- لذا لا توجد مصانع قريبة أو أي مسبب..ببات تلوث. كذلك لا توجد جبال أو أي مرتفعات تعيق رؤيته للنجم. غالبًا أرض مُسطحة بدون علامات، وإلا لأخبرني بها في رسالته. أحسنت يا مازن!

يوم الخميس الساعة الخامسة فجرًا..

- هل أنت واثق أننا على الطريق الصحيح؟

سألت تهذيب، بعد أن ظهرت لها مع بداية النهار معالم الصحراء المُمتدة في كل الجوانب. لم يرد طارق واستمر في القيادة، وقد ثبّت البوصلة أمامه واتجه ناحية الإبرة.

- طارق! توقف.

صرخت تهذيب ليتوقف، ترجّلت تهذيب وجرت نحو نقطة مُحددة، ترجّل طارق ودار حول السيارة ليراها عائدة وممُسكة بشيء أحمر صغير في يدها.

- لقد وجدت هذه.

قالتها وهي ترفع ذلك الشيء المستطيل، ابتسم على الفور قائلًا بسعادة:

- إنها علبة سجائر علاء، لقد أعطاها له عندما..

- هل أنت متأكد؟

أومأ مبتسمًا:

- لا بد أنه قريب من هنا. قريب جدًا!

قالها قبل أن يجري ناحية السيارة، أخرج فوطة التنظيف ثم صعد فوق السيارة وأمسك بطرف الفوطة لترفرف مع اتجاه الهواء. تركها ليراها تطير إلى يساره، ركب السيارة وأدار المحرك فركبت تهذيب بسرعة واتجه عكس اتجاه طيران الفوطة. ظل في طريقه حوالي ربع ساعة قبل أن تظهر في الأفق جثة متكومة، زاد طارق من سرعة السيارة في حين صرخت تهذيب بأنها تراه. توقف طارق وترجّل على بعد خطوات، فوجد مازن فاقد الوعي. وضع يده أمام أنفه فشعر بأنفاسه ثقيلة:

- الماء! بسرعة!

صرخ طارق لتأتي بزجاجة المياه التي أحضراها لهذا الهدف. رش طارق على يده ومسح وجه مازن، ثم بلل شفتيه قبل أن يحمله. خرجت كلمات واهية من مازن لم يفهمها طارق، فاقتربت منه تهذيب فارتفع صوته قليلًا:

- يكفي.. يكفي!

ابتسم طارق وسط دموعه:

- أحسنت يا صديقي! أحسنت!

-٣٦-

وقت عصير القصب!

فتح مازن عينيه بصعوبة، فرأى سقفًا لا يظهر منه سوى ضوء أبيض مؤذٍ جعله يغمضهما على الفور. بعد لحظات فتح عينيه مرة أخرى ببطء، فبدأت ملامح الغرفة في الإفصاح عن نفسها. سقف أبيض بإضاءة بيضاء، باب رمادي، ومقعد وحيد إلى يمين الباب. التفت بعينه إلى الناحية الأخرى، فوجد أجهزة تتحرك عليها بعض الخطوط، باب صغير يبدو أنه لحمام، ومقعد جلس عليه طارق.

- طارق! طارق!

نادى عليه بصوت واهن لا يكاد يُسمع، لكن انتفض طارق من غفوته وأقبل عليه مبتسمًا:

- أنا هنا يا صديقي.

- تهذيب.. أين؟

كان صوته مبحوحًا باديًا فيه الضعف:

- إنها بخير، لا تقلق.

- يونس.. إنه يونس. لا تتركه يوقّع العقو..

خفت صوته في آخر جملة ليغيب عن الوعي دون أن يتمها. دخلت تهذيب الغرفة بعدها مباشرة، لتجد طارق واقفًا أمامه:

- هل استيقظ؟

جفل منها طارق، ليرد بعد أن استعاد هدوءه وهو متجه ناحية مقعده:

- تلك الحمى ترفض أن تت..تركه، لقد أفاق وغاب عن الوعي مرة أخرى.

- سيكون بخير.

مرت سبع عشرة ساعة ومازن يعود كل ساعتين تقريبًا ليكرر نفس الحديث ثم يغيب عن الوعي. جلس طارق على مقعده إلى جواره وقد سقط في إغفاءة أخرى وكأن لطنين الأجهزة أثرًا في تنويمه، وأفاق بعد لحظات ونظر إلى مازن ثم اتجه إلى الحمام الداخلي في الغرفة. خرج بعدها واتجه ناحية مازن ليجده مستلقيًا على ظهره في وضعه المعتاد، لكن عينيه مفتوحتان. فوجئ طارق، بينما ابتسم مازن ليتحدث بنفس الصوت المبحوح وإن خفّ الوهن:

- هل وقّع العقود؟

ابتسم طارق واغرورقت عيناه قبل أن يقول:

- لن تغيب عن الوعي مجددًا بعد أن تعرف، أليس كذلك؟

هزّ مازن رأسه في إشارة النفي ليضحك طارق:

- يجب أن تعترف بأن ما كنت تطلق عليها معلومات الكشافة التي كنت أخبرك إياها رغمًا عنك قد أنقذتك.

ابتسم مازن قائلًا بصوت مبحوح منخفض:

- لم تنقذني المعلومات، أنت من أنقذتني.

ضحك طارق وقد سالت دموعه:

- هذا صحيح، لمرة أنقذتك. يتبقى ألف مرة إذن لنتعادل.

- هل وقّع العقود؟

- نعم. لقد وقفنا تحت الشركة لساعات وهو يوقّع العقود، ولم يكن بإمكاننا الصعود إليه. كنا سنقبض عليه بأي تهمة لنعطّل الأمر.

سكت مازن للحظة قبل أن يقول طارق:

- لم تسأل عن تهذيب هذه المرة.

- معطفها على المقعد المجاور للباب، هي هنا في مكان ما.

مرت لحظة حتى سأل مازن بصوت ضعيف:

- هل هزمنا؟

نظر إليه طارق للحظة قبل أن تختفي ابتسامته ويقول:

- في البداية رأيت ذلك أيضًا. لقد هزمنا، وحقق مراده وسيطر على الشركة. لقد تجرد من مشاعره واستطاع أن يحول نفسه إلى آلة ويخدعنا. لقد كان أذكى مِنَا.

- وبعدها؟

- بعدها اكتشفت أنه هزمنا في لعبة وضع هو قوانينها. لقد جعلنا نفكر بأن ما يحدث، يحدث بتخطيط آلي غير إنساني، وبالتالي كنّا مقتنعين بعدم وجود ثغرات في الجرائم وانشغلنا بأشياء أخرى.

- هذا أسوأ يا طارق.

قالها مازن وأغلق عينيه، فانتظره طارق حتى فتح عينيه وعدّل من عويناته وقال:

- لقد هزمنا، ولم نكن بالسرعة الكافية كما أخبر تهذيب.

أومأ مازن بحزن ليستطرد طارق:

- لكن هدفنا لم يكن الانتصار من البداية. هدفنا هو تحقيق العدالة، ولقد تم تحقيقها.

نظر إليه مازن ليجد طارق مبتسمًا ويتحدث بسرعة:

- حسام كان اليد التي يقتل بها يونس، الآن تلك اليد قُبض عليها. أما يونس فقد تجرد من مشاعره كما أخبرتك وقبل أن يتحول لآلة، ولن يهمه رأي الناس فيما فعل. حسنًا، لقد ارتكب نفس الخطأ المشهور الذي ترتكبه كل الآلات، لقد قلّل من قيمة العواطف. فبعد المؤتمر الذي حضره الأشهب والبنا ويونس مع شروق، تحولّت ملكية الشركة إلى يونس لأنه المالك لمعظم المؤسسات الإفريقية التي تنازلت إليها الشركة. لكن بعدها وبعد أن سيطر يونس على الإدارة، خرجت شروق وعقدت مؤتمرًا آخر لتشرح فيه ما حدث وكيف سيطر يونس على الشركة وأنه المسؤول بشكل مباشر عمّا حدث. استجاب الرأي العام العالمي، وألغت كل الشركات العالمية الشراكة مع شركة أوليمبس، وتعاقدوا مع شركة شروق الجديدة. لقد فاز يونس بالعرش، لكنه يحكم مملكة خاوية الآن. ويجب أن نتذكر أنه سيطر على الإدارة، لكن معظم الأرباح تذهب إلى تهذيب.

ابتسم مازن ولم يرد، فمال إليه طارق وتحدث بصوت منخفض:

- نعم، لقد تلاعب بنا وهزمنا، لقد مزقني الأمر عندما اكتشفت. لقد تلاعب بنا بكل سهولة كأننا مجموعة من

العرائس، لكن فجأة بدا الأمر تافهًا عندما ظننت أنني سأفقدكما. لقد انتصرنا بأننا معًا الآن، وهو وحيد ومنبوذ والدول والشركات والموظفين ترفض التعامل معه ومع تطبيقاته.

أومأ مازن قائلًا بصوت مبحوح:

- وانتصرنا بأن وضع لنا إعلانًا في جميع الجرائد المصرية والعالمية.

ضحك طارق وابتسم مازن قائلًا:

- لقد أجلت الموضوع كثيرًا، لكن هل يمكنك إحضار كوب ماء؟

جاء صوت من عند الباب قائلًا:

- لديّ شيء أفضل.

نظرا ليجدا تهذيب واقفة بملابسها الرسمية المُعتادة، مُمسكة بيديها الاثنين ثلاثة أكواب بلاستيكية خارج من كل منها مشفطة، وقالت بمرح:

- أظن أنه وقت القصب.



-٣٧-

العميل الثالث: الثاني: فتاة الخاتم.

جلس طارق وإلى جواره رقية، بينما جلست تهذيب إلى جوار مازن. ضحكت رقية على تعليق مازن قبل أن تقول:

- إذن حسبما فهمت فلقد انتصر هشيمة.

- نعم.

أجاب طارق ليشعر بأن الجو قد تبدّل، ليقول مازن على الفور:

- لكننا نعلم أنه لم يفقد سمعته فقط، بل يتلقى تهديدات من أسر الضحايا. تركه جميع أعضاء مجلس الإدارة، ولم يتلقَ الدعم الذي انتظره خاصة بعد ذلك المؤتمر الثاني الذي عقدته شروق وشرحت فيه الموقف بالكامل. لقد نجح في السيطرة على الشركة بالفعل، لكنها تنهار. كما قال إدموند بورك: حتى وإن انتصر الشر، فإنه لا يستقر أبدًا.

- بالإضافة إلى أنه قد فقد إبهامه.

قالتها تهذيب ليعود الضحك في مطعم روكا، قبل أن يميل طارق إلى الأمام ويتحدث بجدية:

- لقد انتصر، لكن أظن أننا إذا خسرنا معًا، سنكون أفضل ممن يفوز وحده. لقد بحث على المال والسُلطة ورأى أنه زيوس وهذا عرشه، فليتمتع بعرشه إذن وبمملكته الفارغة. لقد بدأت حكومات على إثر مؤتمر شروق في الضغط على الشركة وطردها من دولها.

أمسكت رقية بيد طارق، ونظرت إليه ولم تتحدث، بينما قال مازن ضاحكًا:

- بما إنكم مهتمون لهذا الحد، فلقد كدت أن أفقد عقلي تحت تلك الشمس.

ضحك الجميع قبل أن يقول طارق:

- إننا نسمع هذه القصة كل نصف ساعة.

دخل علاء المطعم باحثًا عنهم، ثم اتجه إليهم:

- أي قصة؟

قالها بمزاح وهو يسحب مقعدًا ويضعه إلى رأس الطاولة، اعترض الجميع بينما أصّر علاء:

- لا تهتم لرأيهم، أي قصة؟

- ما رأيته في هلوستي في الصحراء.

- لقد قصصتها عليّ الأمس، شكرًا.

ضحك الجميع بينما ظهر الغيظ على مازن فتدخل طارق:

- حسنًا، لقد اتصلت بي في هلوستك، واسترجع عقلك الباطن اقتباسات من نفس الرواية التي حيرتّك لفترة، حتى تذكرتها، وعندما قابلتك قلت «يكفي.. يكفي»

- هذه جديدة.

قالت تهذيب، لينظر طارق إلى مازن متشككًا، بينما ابتسم مازن قائلًا:

- ثلاثية غرناطة لـ رضوى عشور.

- لم تكن تعلم أن ما حدث في هلوساتك اقتباسات من الرواية، أليس كذلك؟

سأل طارق في غيظ، ليجيب:

- لن أجيب، لقد فزت.

- هذه لا تُحسب.

- بل تُحسب، لقد قلت اسمها. وبالمناسبة، لقد قلت «يكفي.. يكفي» لأنني رأيتك تنقذني أكثر من مرة في هلوساتي، فتخيلت أنها نوبة أخرى، لكن أتذكر الآن من قالها وهو يموت في رواية «ثلاثية غرناطة».

قال اسم الرواية بصوت أعلى وهو يبعد يرسم قوسًا بإبهامه وسبابته في الهواء كأنه يكشف عن لوحة إعلانية. رد طارق بغيظ:

- هذه لا تُحسب، لقد أخبرتك بها.

- بل تُحسب.

- لا تُحسب.

مال علاء على تهذيب ليسأل بصوت منخفض:

- هل هما كذلك طوال الوقت؟

أومأت تهذيب ضاحكة ونظرت إليهما وهما يتشاجران، وكادت أن تقاطعهما لولا أن سمعت صوت خافت آتٍ من خلفهم:

- أستاذ طارق؟

توقفا عن الشجار فورًا، والتفت إليها طارق ليجد فتاة في السادسة عشرة تقريبًا. أجاب طارق مستفهمًا:

- نعم، من أنتِ؟

- لقد قرأت عنكم في الجريدة، يقولون أنكم اكتشفتم ما لم تكتشفه الشرطة.

- قلت لك إنه إعلان جيد.

قالها مازن على الفور ضاحكًا، لتتقدم الفتاة نحو الطاولة وتخرج خاتمًا كبيرًا من جيبها وتضعه على الطاولة. ألقى عليه طارق نظرة خاطفة ليرى أنه مُزين بثلاثة فصوص، ولا بد أنه إرث عائلي من أجيال وأنه يساوي ثروة كبيرة.

- ما هذا؟

سأل مازن، لتجيب على الفور وبلهجة واثقة لا تخرج ممن في سنها:

- هذا أجركما. أريدكما في قضية جديدة.

ابتسم مازن إلى طارق، الذي كان ناظرًا إليها. اعتدل طارق ونظر إلى مازن بجدية لتتسع ابتسامة الفتاة، قبل أن يقول بسرعة:

- إذن لا تُحتسب؟

تمت

٢٠١٩/١٢/٣